مسرحيات شكسبير

جامعة الدول العربية
الإدارة الثقافية



هنري السادس

الجزء الثالث

ترجمة: الأستاذ محمد بدران

دار المعارف

مسْرحيَات شكسْبير

جامعة الدول العربية
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - القاهرة

هنرى السادس

الجزء الثالث

الطبعة الثالثة

دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

هنري السادس

الجزء الثالث

ترجمة

الأستاذ محمد بدران

مراجعة

الأستاذ محمد شفيق غربال

الجزء الثالث

من

مسرحية الملك هنرى السادس

أشخاص المسرحية

King Henry VI	الملك هنرى السادس
Edward Prince of Wales, his son	إدورد أمير ويلز وابن الملك
Louis XI King of France	لويس الحادى عشر ملك فرنسا

أنصار هنرى السادس:

Duke of Somerset	دوق سمرست
Duke of Exter	دوق إكستر
Earl of Oxford	إيرل أكسفورد
Earl of Northumberland	إيرل نورثمبرلند
Earl of Westmoreland	إيرل وستمورلند
Lord Clifford	لورد كلفورد(الشاب كلفورد فى الجزء الثانى)

Richard Plantagenet, Duke of York	رتشارد بلانتاجنت ، دوق يورك

أبناء دوق يورك:

Edward Earl of March	إدورد إيرل مارتش (الملك إدورد الرابع فيما بعد)
Edmund, Earl of Rutland	إدموند إيرل رتلند
George Duke of Clarence	جورج (دوق كلارنس فيمابعد)
Richard, Duke of Gloucester	رتشارد (دوق جلوستر فيمابعد)

أنصار دوق يورك:

دوق نورفوك Duke of Norfolk
إيرل وريك Earl of Warwick
إيرل نورفوك Earl Norfolk
ماركيزة منتجيو (أخت إيرل وريك) Marquess of Montague
إيرل بمبروك Earl Pembroke
لورد هيستنجس Lord Hastings
لورد ستفورد Lord Stafford

عما دوق يورك:

سير جون مورتيمر Sir John Mortimer
سير هيو مورتيمر Sir Hugh Mortimer

هنرى (إيرل رتشمند) ، شاب Henry, Earl of Richmond
لورد رفرز ، جراى Lord Rivers سير وليم ستانلى Sir William Stanley
سير جون مونتجمرى Sir John Montgomery
سير جون سمرفيل Sir John Somerville معلم رتلند Tutor to Rutland
عمدة يورك Mayor of York ضابط الحصن Lieutenant of the Tower
نبيل A Nobleman حارسان Two Keepers صياد A Huntsman
ابن قتل أباه . أب قتل ابنه . الملكة مرجريت Queen Margaret
السيدة إلزبث جراى ، (فيما بعد ملكة بزواجها من إدورد الرابع) Lady Grey
بونا (أخت ملك فرنسا) Bona جنود وأتباع ورسل وحراس إلخ .

المنظر : جزء من الفصل الثالث فى فرنسا وسائر المسرحية فى إنجلترة .

الجزء الثالث

من مسرحية الملك هنرى السادس

الفصل الأول

المنظر الأول

لندن — دار البرلمان وكرسى العرش مقام على منصة عالية — طبول — جنود يوغلون فى الدار بعنف — ثم يدخل دوق يورك ، وإدورد ، وريتشارد ، ونورفوك ، ومنتجيو ، ووريك وجنود وقد وضعوا الوردة البيضاء فى قبعاتهم .

وريك : عجباً كيف أفلت الملك من أيدينا !

يورك : بينما كنا نطارد فرسان الشمال
تسلل الملك فى دهاء وترك وراءه رجاله .
وحينئذ أثار لورد نورثمبرلند العظيم .
الذى اعتادت أذناه ضجيج الحرب ولا تطيق سماع أمر بالتراجع ،
حماسة الجيش المتخاذل ، وتقدم هو نفسه
ومعه لورد كلفورد ، ولورد ستفورد فى صف واحد ،
وهاجموا مقدمة جيشنا الرئيسى ،

وهاجموا صفوفه ، فصرعتهم سيوف جنودنا من
عامة الجيش .

إدورد : فأما دوق بكنجهام والد لورد ستفورد
فهو إما قتيل أو مصاب بجراح خطيرة ،
فقد شققت قبضته بضربة قاصمة من سيفى ،
وهذا دمه يا أبى يشهد بصدق قولى .

منتجيو : وهذا يا أخى دم إيرل ولتشر
الذى التقيت به حين التحم الجمعان

رتشارد : تكلم أيها الرأس ، وارو عنى ما فعلت
(يلقى على الأرض برأس دوق سمرست)

يورك : إن رتشارد لأعظم أبنائى بلاء ،
ولكن هل مت حقًّا يا صاحب الفخامة
يا دوق سمرست ؟

نورفولك : تلك أمنية طالما تمناها جميع أبناء جون جونت * !

رتشارد : هكذا آمل أن أهز رأس الملك هنرى .

وريك : وهذا ما آمله أنا أيضًا يا أمير يورك المظفر ؛
وأقسم بالله أن هاتين العينين لن تغمض أجفانهما ،
قبل أن أراك متربعًا على ذلك العرش

---

* John Gaunt هو الجد الأكبر لأسرة لانكستر .

الذى يغتصبه الآن بيت لانكستر .
هذا هو قصر الملك الرهيب ،
وهذا مقعد الملك ، فتربع عليه يا دوق يورك ،
لأنه من حقك لا من حق ورثة الملك هنرى .

يورك : أعنى إذن يا عزيزى وريك ، أجلس عليه .
لأنا قد اقتحمناه قوة واقتداراً .

نورفوك : سنقدم لك كلنا العون ، ومن يفر فإنه لا بد ملاق حتفه .

يورك : شكراً يا عزيزى نورفوك . قفوا إلى جانبى أيها السادة ،
وأنتم أيها الجنود ، ابقوا وأقيموا معى هذه الليلة ،
(يصعدون)

وريك : وإذا جاء الملك فلا تأخذوه بالعنف
إلا إذا حاول أن يخرجكم غصباً .

يورك : إن الملكة اليوم تعقد مجلسها هنا ،
ولكنها قلما تفكر فى أننا سنكون من أعضاء هذا المجلس ،
فدعونا ننل حقنا فى هذا المكان بالقول أو بالطعان .

رتشارد : دعونا نقم فى هذا البيت ، وسلاحنا فى أيدينا
كما نحن الآن .

وريك : وسيعرف هذا باسم المجلس الدموى .
إلا إذا أصبح بلانتاجنت ، دوق يورك ، ملكاً
وخلع هنرى الخائر العزم ،
الذى أصبحنا بفضل جبنه مضغة فى أفواه
أعدائنا .

يورك : إذن فلا تتركونى أيها السادة ، وشدوا عزائمكم ،
فقد اعتزمت أن أنال حقى .

وريك : ولن يستطيع الملك ، ولا من يحبه الملك أعظم
حب ،
ولا أكبر المؤيدين للانكستر وأعظمهم كبرياء ،
أن يحرك جناحًا إذا دق وريك أجراسه .
سأثبت لانكستر على العرش ، وليقتلعه من
يجرؤ على اقتلاعه .
كن ماضى العزيمة يا رتشارد : وطالب بعرش
إنجلترة . (طبول)

(يدخل الملك هنرى ، وكلفورد ونورثمبرلند وإكستر وبقية الحاشية)

الملك هنرى : انظروا أيها السادة ، أين اتخذ الثائر العنيد
مجلسه ،

اتخذه فوق كرسى الحكم نفسه ! كأنه يقصد
بذلك أن يتطلع إلى التاج وأن يكون ملكـًا ،
تشد أزره قوة وريلك ذلك النبيل الزائف .
يا إيرل نورثمبرلند ، لقد قتل هذا الرجل أباك .
وأباك أيضًا يا لورد كلفورد . وقد أقسم كلا كما
أن يثأر منه ومن أبنائه ، وأوليائه ، وأصدقائه .

نورثمبرلند : وإن لم أنتقم منه فلتحل علىّ نقمة السماء .
إن الأمل فى هذا الانتقام هو الذى جعل
كلفورد يتخذ ثياب حداده من الفولاذ .
ما هذا ! أتحتمل هذا وتتجاوز عنه ؟ هلم
ننقض عليه لنهلكه .
إن قلبى ليضطرم بنار الغضب ، حتى لم أعد
أحتمل المزيد .

الملك هنرى : صبراً يا عزيزى إيرل وستمورلند

كلفورد : إن الصبر شيمة الجبناء من أمثاله :
ولم يكن هو ليجرؤ على الجلوس حيث جلس
لو أن أباك حى .
سيدى العظيم . ائذن لنا هنا فى دار البرلمان .
أن نهاجم آل يورك .

نورثمبرلند : ما أحسن ما قلت يا بن العم ، فليكن هذا .

الملك هنرى : آه ، ألا تعلمون أن المدينة كلها تناصرهم ،
وأن لديهم قوات من الجند تأتمر بأمرهم ؟

إكستر : ولكنهم سيفرون مسرعين حين يقتل الدوق .

الملك هنرى : حاشا لعقل هنرى أن يخالجه رأى كهذا ،
وأن يجعل من دار البرلمان مجزراً .
إن الحرب التى يريد أن يخوضها هنرى ،
يابن العم إكستر ، هى حرب التجهم والألفاظ
والوعيد . وأنت يا دوق يورك المتمرد — العاصى ،
انزل عن عرشى
واجث على ركبتيك عند قدمى ، والتمس الرحمة
فأنا مليكك .

يورك : بل أنا مليكك .

إكستر : يا للعار ؛ انزل ، فهو الذى جعلك دوق يورك .

يورك : إن الدوقية تؤول إلى بالوراثة ، كما يؤول إلى
لقب إيرل .

إكستر : لقد كان أبوك خائناً للعرش .

وريك : إنك يا إكستر تخون العرش ،
باتباعك هذا المغتصب هنرى .

كلفورد : وهل يتبع المرء غير مليكه الشرعى ؟

وريك : هذا حق يا كلفورد ، والمليك الشرعى هو رتشارد دوق يورك .

الملك هنرى : وهل أقف أنا لتجلس أنت على عرشى .

يورك : هذا ما ينبغى ، وما لا بد أن يكون ، فاصطنع القناعة والرضى .

وريك : لتكن أنت دوق لانكستر ، وليكن هو الملك .

وستمورلند : إنه دوق لانكستر والملك معًا ،
وذلك ما سيؤيده لورد وستمورلند .

وريك : وهذا ما سيعمل وريك على إحباطه . إنك لتنسى
أننا نحن الذين طاردوكم فى الميدان ،
وذبحوا آباءكم ، وساروا وأعلامهم منتشرة .
فى أنحاء المدينة حتى جاءوا أبواب القصر .

نورثمبرلند : بل أذكره يا وريك ، ولشد ما يحزننى ذكره ،
وإنى لأقسم بروحى لتندمن أنت وأهلك على ما اقترفت .

وستمورلند : يا بلانتاجنت ، لأزهقن من أرواحكم .

أنت وأبنائك هؤلاء ، وأقربائك وأصدقائك ،
أكثر من قطرات الدم التى كانت تجرى فى
عروق أبى .

كلفورد : لا تزد ، وإلا أرسلت إليك يا وريك .
بدل الألفاظ رسولا يقتص منك لموته .
قبل أن أقوم من مقامى .

وريك : كلفورد . أيها المسكين : ما أشد ما أسخر
من وعيدك الأجوف ،

يورك : أتريدون أن نظهر لكم حقنا فى التاج ؟
فإن أبيتم ، فستطلبه سيوفنا فى ساحة القتال .

الملك هنرى : أى حق لك فى التاج ، أيها الخائن ؟
لقد كان أبوك ، كما أنت الآن ، دوق يورك ،
وكان جدك ، روجر جورتمر ، إيرل مارتش ،
وأنا ابن هنرى الخامس .
الذى جعل ولى عهد فرنسا والفرنسيين يحنون
هاماتهم ،
واستولى على مدنهم وأقاليمهم .

وريك : لا تتحدث عن فرنسا لأنك قد أضعتها كلها .

الملك هنرى : لم أضعها ، وإنما أضاعها الوصى على العرش ، فقد كنت حين توجت ملكًا فى الشهر التاسع من عمرى .

رتشارد : لقد بلغت الآن من العمر ما فيه الكفاية ، وما زلت فى ظنى حليف الخسران .
تقدم يا أبى ، وانزع التاج عن رأس المغتصب .

إدورد : افعل هذا يا أبى العزيز ، وضع التاج فوق رأسك .

منتجيو : أخى الطيب ، دعنا نقاتل فى سبيل التاج ، إذا كنت تحب السلاح وتكرمه بدل أن نقف هنا نتنابز بالألفاظ .

رتشارد : دقوا الطبول وانفخوا فى الأبواق تروا الملك يلوذ بالفرار .

يورك : أنصتوا يا أبنائى .

الملك هنرى : بل أنصت أنت ، واترك للملك هنرى فرصة الكلام .

وريك : بل يتكلم بلانتاجنت أولا ، فاستمعوا إليه يا سادة ،
واصمت أنت أيضًا وأصغ إليه بانتباه .

لأن من يجرؤ على مقاطعته سيلقى حتفه .

الملك هنرى : أتظن أنى سوف أتخلى عن عرشى الملكى .
الذى جلس عليه جدى وأبى من قبلى ؟
كلا ، لن يكون ذلك حتى تهلك الحرب سكان مملكتى ،
وحتى تصبح أعلامهم المظفرة ، التى طالما خفقت على ربوع فرنسا ،
والتى عادت الآن مع الأسف الشديد إلى إنجلترة ،
هى الكفن الذى يلف جسدى . فيم هذا التقاعس يا سادة ؟
إن حقى فى العرش أكيد ثابت ، وهو مشروع أكثر من حقه .

وريك : إن استعطت أن تثبته يا هنرى ، كنت أنت الملك ،

الملك هنرى : لقد نال هنرى الرابع التاج بحق الفتح .

يورك : لقد كان ذلك بطريق التمرد على مولاه .

الملك هنرى : (لنفسه منفرداً) لست أدرى ما أقول ، فإن حقى فى الملك ضعيف .

(يرفع صوته) قل لى ، أليس من حق الملك أن يتبنى وارثًا له ؟

يورك : ثم ماذا ؟

الملك هنرى : إن كان للملك هذا الحق فأنا ملك شرعى ،
لأن رتشارد نزل عن التاج فى مجلس .
حضره كثير من الأعيان لهنرى الرابع .
وأبى وريث هنرى الرابع وأنا وريث أبى .

يورك : لقد تمرد عليه وهو مليكه ،
وأجبره على النزول عن العرش

وريك : فإذا علمتم يا سادة أنه نزل عن العرش غير مكره
أتظنون أن هذا يضيع حقه ؟

إكستر : لا لأنه ليس من حقه أن ينزل عن العرش على هذا النحو .
: بل ينزل عنه لوريثه حتى يخلفه فى الحكم ،

الملك هنرى : أأنت علينا يا دوق إكستر ؟

إكستر : إن الحق حقه فاغفر لى .

يورك : ما بالكم تتهامسون يا سادة ولا تحيرون جوابًا ؟

إكستر : إن ضميرى يوحى إلى أنه الملك الشرعى .

الملك هنرى : (لنفسه) إنهم جميعاً سينتقضون علىّ وينضمون إليه .

نورثمبرلند : يا بلانتاجنت ، لا تظن رغم ما تقيمه من دعاوى
أن هنرى سيخلع عن العرش على هذا النحو .

وريك : بل سيخلع رغم أنف الجميع .

نورثمبرلند : إنك لواهم ، وجميع جنود الجنوب .
من إسكس ونورفوك ، وسفوك ، وكنت ،
التى تحملك على كل هذا التطاول والكبرياء ، لن
تستطيع أن ترفع الدوق على العرش بالرغم منى .

كلفورد : أيها الملك هنرى ، سواء أكنت صاحب العرش حقاً أم مغتصباً له ،
فإن لورد كلفورد يقسم أن يحارب دفاعاً عنك ،
ولتنشق هذه الأرض ولتبتلعنى حياً .
إن أنا ركعت لمن قتل أبى .

الملك هنرى : كم تنعش كلماتك يا كلفورد قلبى .

يورك : يا هنرى إيرل لانكستر اخلع تاجك .
وأنتم أيها السادة بم تتمتمون أو علام تتآمرون ؟

وريك : قوموا بواجبكم نحو هذا الأمير دوق يورك ،
وإلا ملأت عليكم الدار جنوداً مسلحين ،

وكتبت على كرسى الملك حيث يجلس الآن
حقه فى الملك بدم المغتصب .

(يضرب الأرض بقدميه فيظهر الجنود)

الملك هنرى : يا سيدى لورد وريك ، هلا استمعت إلى كلمة واحدة منى ؟
دعونى أحكم ماكثًا مدة حياتى لا أكثر .

يورك : إذا أثبت حقى وحق ورثتى فى التاج ،
فلك أن تظل فى هدوء ما حييت .

الملك هنرى : وإنى راض بهذا يا رتشارد بلانتاجنت ،
لك الملك من بعد موتى .

كلفورد : أى ظلم ترتكبه بهذا فى حق ابنك الأمير !

وريك : بل أى خير وراء هذا لإنجلترة وله !

وستمورلند : هنرى أيها الوضيع الجبان البائس ؟

كلفورد : لكم أسأت بهذا إلى نفسك وإلينا !

وستمورلند : لن أستطيع البقاء لأسمع هذه الشروط .

نورثمبرلند : ولا أنا .

كلفورد : هلم يابن عمى نبلغ هذه الأخبار إلى الملكة .

وستمورلند : وداعًا أيها الملك المنحل المنخلع القلب ،
الذى لا تشتعل فى دمه البارد جذوة من عزة

أو كرامة .

نورثمبرلند : ولتقع فريسة لبيت يورك ،
ولتمت رهين القيد جزاء هذا العمل الذى لا يليق بالرجال .

كلفورد : ولتحق بك الهزيمة فى الحرب العوان ،
أو فلتعش منبوذاً محتقراً إن عشت فى سلام .

(يخرج نورثمبرلند وكلفورد ووستمورلند)

وريك : التفت إلى هنا يا هنرى ولا تنظر إليهم .

إكستر : إنهم يطلبون الثأر ولذلك لا ينزلون عن رأيهم .

الملك هنرى : آه يا إكستر .

وريك : ولم تتحسر يا مولاى ؟

الملك : إنى لا أتحسر على نفسى يا لورد وريك بل من أجل ولدى ،
الذى أثمت إذ حرمته من حقه هذا الحرمان غير الطبيعى .
ولكن ليكن ما يكون ، فإنى أسلم التاج لك
ولأبنائك (إلى يورك) إلى أبد الدهر
على شرط أن تقسم ههنا
بأن تضع حداً لهذه الفتنة ،

وأن تعظمنى وترعى حتى ملكًا عليك وسيداً لك ،
وألا تنحيني عن العرش لتحكم أنت ،
سواء بالحرب أو بالغدر .

يورك : أقسم طائعًا مختاراً وسوف أبر بقسمى .

وريك : عاش الملك هنرى ؟ عانقه يا بلانتاجنت .

الملك هنرى : وعاش يورك ، وعاش هؤلاء أبناؤك الشجعان .

يورك : والآن تم الصلح بين بيتى يورك ولانكستر،

إكستر : ولعنة الله على من يسعى بالتفرقة بينهما .

(أناشيد – يهبطون)

يورك : وداعًا يا مولاى الكريم وسأمضى إلى قلعتى .

وريك : أما أنا فسأحتفظ بلندن مع جنودى .

نورفوك : وأنا سأذهب إلى نورفوك مع أتباعى .

مونتجيو : وأنا سأتخذ طريقى إلى البحر من حيث قدمت .

(يخرج يورك وأبناؤه ، ووريك ، ونورفوك ، ومنتجيو ، وجنودهم وأتباعهم) .

الملك هنرى : أما أنا فسأذهب إلى القصر يجللنى الحزن والأسى

(تدخل الملكة مرجريت ومعها أمير ويلز) .

إكستر : ها هى ذى الملكة قادمة ، وإن ملامحها لتنم عن غضبها
سأتسلل من هنا .

الملك هنرى : وسأتسلل أنا أيضًا يا إكستر .

الملكةمرجريت : لا ، لا ، لا تهرب منى فإنى فى أثرك .

الملك هنرى : إن تصبرى أيتها الملكة الرقيقة فسأبقى .

الملكةمرجريت : ومن ذا الذى يستطيع الصبر فى هذه المحن ؟
ويك أيها الرجل الشقى ! ليتنى مت عذراء ،
ولم تقع عيناى عليك ولم ألد لك ابنـًا ،
بعد أن أظهرت أنك أب أبعد ما تكون عن طبيعة الآباء
ماذا جنى حتى يفقد حقه على هذا النحو ؟
لو أنك كنت تحبه نصف ما أحببته ،
ولو كنت أحسست الألم الذى أحسسته من أجله ،
ولو كنت قد غذوتـَه كما غذوتـُه من دمى ،
لآثرت أن يسفك أغلى دم فى قلبك ،
على أن تجعل ذلك الدوق المتوحش وليـًّا لعهدك ،
وتحرم ابنك الوحيد من حقه الطبيعى .

الأمير : إنك يا أبى لا تستطيع أن تحرمنى من الملك .

فإن كنت ملكـًا فلم لا أخلفك ؟

الملك هنرى : اصفحى عنى ، يا مرجريت . واصفح عنى يا بنى الجميل ،
لقد أرغمنى على ذلك دوق يورك وإيرل وريك .

الملكة مرجريت : أرغمك ! أتكون ملكـًا وترغم ؟
وإنى لأستحى أن أسمع هذا الكلام منك ،
آه أيها الجبان التعس !
لقد أشقيت نفسك ، وأشقيت ابنك ، وأشقيتنى ،
وسلمت لبيت يورك بحقهم .
فى أن يجعلوك تحكم برضائهم .
وهل معنى جعل التاج له ولأبنائه ،
إلا أنك حفرت قبرك بنفسك ،
وزحفت إليه زحفـًا قبل الأوان ؟
وهل يكون لك بعد هذا أمان ، وهذا وريك
يصبح مستشاراً للدولة ، وصاحب كاليه ؟
وفالكونبردج العبوس يتحكم فى المضايق ؟
ودوق يورك يصبح وصيـًا على الدولة ؟
ثم تقول إنك آمن ، إنه الأمان

الذى ينعم به الحمل بين الذئاب .
لو كنت مكانك ، وما أنا إلا امرأة ضعيفة ،
لفضلت أن يتقاذفنى الجنود بحرابهم ،
قبل أن أسمع بهذا الأمر .
ولكنك آثرت الحياة على الكرامة ،
وما دمت قد فعلت هذا فإنى أطلق نفسى منك ،
فلن تجمعنا مائدة ، ولن يجمعنا فراش ،
حتى ينسخ هذا القرار البرلمانى الذى حرم ابنى حقه .
إن نبلاء الشمال الذين تبرأوا منك ، ونبذوا رايتك ،
سيتبعوننى إذا ما نشرت أعلامى ،
وسأنشر هذه الأعلام حتماً لأخزيك وأجللك العار ،
حتى أمحق بيت يورك محقاً .
وبهذا أتركك ، هلم بنا يا بنى ،
فإن جيشنا على تمام الأهبة وسنلحق به .

الملك هنرى : بل ابقىْ يا مرجريت العزيزة ، واسمعى ما أقول .

الملكة مرجريت : إليك عنى ! لقد تكلمت حتى الآن أكثر مما يجب .

الملك هنرى : ابنى إدورد الجميل ! لتبق أنت معى .

الملكة مرجريت : نعم يبقى ، ليفتك به أعداؤه .

الأمير : سأرى جلالتكم حينما أعود منتصراً من القتال ،
وحتى يحين ذلك الوقت سيكون مكانى إلى جانبها .

الملكة مرجريت : تعال يا بنى ، فليس لنا أن نضيع الوقت على هذا النحو .

(تخرج الملكة مرجريت والأمير)

الملك هنرى : ويح الملكة المسكينة! لكم جعلها حبها لى ولابنى
تثور غضباً . فلتثأر إن استطاعت من ذلك الدوق البغيض ،
الذى ستنتزع روحه المتغطرسة ، تؤازرها رغباته ،
التاج عن رأسى ، والذى سينهش
كأنه النسر الجائع لحمى ولحم ابنى !
لقد أحزننى وعذب قلبى أولئك النبلاء الثلاثة
فلأكتب إليهم وأستملهم بالطيب من الكلام .
تعال يابن عمى وستكون رسولى إليهم .

إكستر : وأرجو أن أفلح فى مصالحتهم جميعاً .

الفصل الأول

المنظر الثانى

سهل أمام قلعة سندل بالقرب من ويكفيلد
يدخل رتشارد وإدورد ومنتجيو .

رتشارد : أرجو أن تأذن لى يا أخى بالكلام وإن كنت أصغركم سنًّا .

إدورد : لا بل أنا أكثر منك إجادة لدور الخطيب .

منتجيو : ولكن لدى من الأسباب ما هو قوى ملزم .

(يدخل دوق يورك)

يورك : ماذا جرى ؟ أيشتجر ابناى وأخى ؟
ما سبب هذا الشجار ؟ وكيف بدأ أول الأمر ؟

إدورد : لا شجار هو بل جدل يسير .

يورك : فيم تتجادلون ؟

رتشارد : فى الأمر الذى يمس سموكم ويمسنا .
تاج إنجلترة يا أبت الذى هو حقك .

يورك : ليس من حق يا بنى حتى يموت الملك هنرى .

رتشارد : إن حقك فى التاج غير موقوف على حياته أو موته .

إدورد : إنك الوارث للملك فخذه وتمتع به الآن ،
فإن إعطاءك لانكستر مهلة ليتنفسوا ،
ستكون عاقبته أن يفلت الأمر من يدك في النهاية .

يورك : لقد أقسمت أن أتركه يحكم في هدوء .

إدورد : ولكن القسم يمكن الحنث به في سبيل مملكة .
وإني لأحنث في ألف قسم في سبيل الحكم سنة واحدة .

رتشارد : حاشا لله أن تكونوا سيادتكم حانثين .

يورك : بل سأحنث إذا أنا طلبت التاج عن طريق الحرب العلنية .

رتشارد : سأثبت عكس ذلك لو استمعتم إلى ما أقول ،

يورك : لن تستطيعه يا بني . هذا مستحيل .

رتشارد : إن القسم لا قيمة له ،
إذا لم يكن أمام حاكم شرعي حقيقي ،
له الولاية على من يؤدي القسم ،
وليس لهنري مثل هذا السلطان عليك ،
بل هو مغتصب للعرش .

وإذا كان هو الذى جعلك تتنزل عن حقك ،
فيمينك يا مولاى باطلة لا قيمة لها .
إذن فهلم إلى السلاح ، وتصور يا أبى
ما أجمل أن يلبس المرء تاجًا
تحتوى دائرته جنة الخلد ،
وكل ما يتغنى به الشعراء من نعيم وبهجة .
فلماذا إذن هذا التقاعس ؟ إنى لن يقر لى قرار
حتى تصطبغ الوردة البيضاء التى أحملها
بالدم الفاتر الذى يتدفق من قلب هنرى .

يورك : كفى يا رتشارد ، سأكون ملكًا أو أموت دون ذلك .
وأنت يا أخى فلتجد السير فوراً إلى لندن ،
لتشحذ همة وريك فى سبيل هذا العمل .
أما أنت يا رتشارد ، فامض إلى دوق نورفوك ،
وافض إليه سرًّا بعزمنا ؛
وأنت يا إدورد اذهب إلى لورد كوبام ،
الذى يهب معه جميع أهل كنت ،
وثقتى بهم عظيمة ، فهم جنود
ذوو فطنة وكياسة ، وأصحاب كرم وشجاعة .
ولن يبقى بعد أن تقوموا بما كلفتم به ،

إلا أن أتحين فرصة للانتفاض ،
دون أن يعلم الملك نيتى ،
لا هو ولا أحد من بيت لانكستر .
(يدخل رسول)
لكن تمهلوا ، ما عندك من أخبار ؟ ولم قدمت بمثل هذه السرعة ؟

الرسول : إن الملكة يؤازرها كل نبلاء الشمال وسادته
يزمعون محاصرتكم فى قلعتكم هذه .
وهى على مقربة من هنا ، ومعها عشرون ألف رجل ،
فلتتحصن إذن يا مولاى .

يورك : أجل ، وبحسامى أتحصن . فهل تظن أننا نخشاهم ؟
يا إدورد ويا رتشارد امكثا معى .
وأنت يا أخى منتجيو أسرع إلى لندن ،
وأبلغ وريك النبيل ، وكوبام ، والآخرين
الذين جعلناهم حراساً على الملك ،
أن يتذرعوا بالحيلة البارعة .
ولا يثقوا بهنرى الساذج ولا بقسمه .

مونتجيو : سأذهب يا أخى ، وثق أنى سأكسبهم إلى صفنا .
وبهذا ألتمس فى خضوع أن تأذن لى بالانصراف
(يخرج)
(يدخل سير جون وسير هيو مورتيمر)

يورك : سير جون وسير هيو مورتيمر يا عمى ،
لقد قدمتما ساندل فى ساعة موفقة ،
فإن جيش الملكة يبغى محاصرتنا .

سيرجون : لا حاجة لها بالحصار فسنواجهها فى الميدان .

يورك : كيف ؟ بخمسة آلاف رجل ؟

رتشارد : بل خمسمائة يا أبى تكفى .
وكيف نخشاهم وعلى رأسهم امرأة ؟
(زحف من بعيد)

إدورد : إنى أسمع طبولهم فلننظم صفوف رجالنا ،
: ثم نخرج إليهم ونبادرهم بالقتال .

يورك : خمسة رجال إلى عشرين . ورغم هذا التفاوت العظيم ،
فإنى يا عماه لا يساورنى أى شك فى النصر .
وكم من معركة خضت فى فرنسا فانتصرت ،
وكان العدو عشرة أمثالنا .
فلم لا يكون لى اليوم مثل هذا الظفر ؟
(يخرجون)

الفصل الأول

المنظر الثالث

ميدان القتال بين قلعة سندل وويكفيلد

صوت طبول — يدخل رتلند ومعلمه .

رتلند : أين المهرب من أن تنالني أيديهم ؟
أي أستاذي انظر هاهو ذا كلفورد السفاح قادم

(يدخل كلفورد وجنود)

كلفورد : انصرف أيها القس ، فإن صفتك الكهنوتية تنقذ حياتك ،
وأما هذه الحشرة سلالة ذلك الدوق اللعين ،
الذي قتل أبوه أبي ، فالموت نصيبها .

المعلم : وإني يا سيدي باق إلى جانبه .

كلفورد : أبعدوه أيها الجنود .

المعلم : أي كلفورد ، لا تقتل هذا الطفل البريء .
فيحل بك غضب الله والناس .

(يسحبه الجنود ويخرجونه)

كلفورد : ما هذا ! أمات الصبي ؟ أم هو الخوف
الذى جعله يغمض عينيه ؟ سأفتحهما .
رتلند : هكذا ينظر الأسد الذى طال احتباسه إلى الفريسة التعسة .
التى ترتجف بين مخالبه المفترسة .
وهكذا يتمشى ساخراً من فريسته .
وهكذا يجيء ليمزق أوصالها .
أى كلفورد الطيب ، اقتلنى بحد سيفك .
لا بهذه النظرة القاسية المتوعدة .
أى كلفورد الحنون ، استمع إلى قبل أن أموت ،
إنى لأحقر شأناً من أن أكون سبباً لغضبك ،
فلتصب انتقامك على الرجال ودعنى أعش .
كلفورد : عبثاً تتكلم أيها الولد المسكين ، فإن دم أبى
يسد السبيل التى تنفذ منها توسلاتك .
رتلند : إذن فليكن دم أبى مفتاح هذا الطريق .
فهو رجل ، وهو كفء لك يا كلفورد .
كلفورد : لو كان إخوتك ههنا .
لما كفانى دمهم ودمك انتقاماً ،
لا ! ولو نبشت قبور أجدادك ،

وسلكت جثثهم المتعفنة فى الأغلال ،
لما خفف ذلك من غضبى ولا أراح قلبى .
إن رؤية فرد من بيت يورك
لتثير فى الغيظ الذى يعذب روحى .
وسأظل أعيش فى جحيم حتى أجتث سلالتهم ،
فلا أترك على ظهر الأرض منهم أحداً .
(يرفع يده)
وعلى هذا . . . .

رتلند : دعنى أتوسل قبل أن أموت !
أتوسل إليك يا كلفورد الطيب أن تشفق على .

كلفورد : سيكون لك من الشفقة قدر ما يستطيعه حد سيفى .

رتلند : إنى لم أوذك قط فلم تقتلنى ؟

كلفورد : لقد آذانى أبوك

رتلند : ولكن ذلك كان قبل أن أولد .
إن لك ابناً واحداً فارحمنى من أجله .
حتى لا ينتقم منك الله وهو عادل .
فيُقتل ابنك كما قُتلت .
آه دعنى أعش سجيناً طول حياتى ،

وإن بدا مني يوماً ما يسيء ،
فليكن الموت جزائي . فليس لي سبب لقتلي .

كالفور : ليس لك سبب ؟
لقد قتل أبوك أبي فمت إذن .

(يطعنه)

رتلند : فلتجعل الآلهة هذه الفعلة أقصى ما تبلغ من مجد .

كلفورد : بلانتاجنت ؟ هأنذا قادم يا بلانتاجنت !
وهذا دم ابنك لاصق بسيفي !
وسيصدأ عليه حتى يتجمد دمك .
مع دمه ، فأغسل الاثنين معاً .

الفصل الأول

المنظر الرابع

مكان آخر فى ميدان الحرب

يدخل رتشارد دوق يورك

يورك : لقد كسب جيش الملكة المعركة .
ومات عماى وهما يذودان عنى ،
وجميع أتباعى يولون الأدبار ،
ويجرون أمام العدو المطادر ، كما تجرى السفن
تدفعها الرياح،
أو كما تفر الحملان من الذئاب الضارية .
وأبنائى يعلم الله ما حل بهم ،
ولكنى أعلم الآن أنهم سلكوا مسالك الرجال
الذين ولدوا لينالوا المجد فى حياتهم أو فى
موتهم .
فثلاث مرات يفسح لى رتشارد الطريق ،
وثلاث مرات يصرخ قائلا : « الشجاعة يا أبى

ولنقاتل حتى النهاية .
وما أكثر ما وقف إدورد إلى جانبى .
وحسامه فى لون الأرجوان ، وقد اصطبغ حتى مقبضه
بدم الذين التقى بهم فى القتال .
وحينما تراجع أشد المقاتلين بأسًا .
صرخ رتشارد « الهجوم . ولا تتزحزحوا قيد قدم من الأرض » .
ثم صاح « التاج أو الموت الكريم ! » .
« الصولجان أو القبر ! »
وبهذه الصيحات عاودنا الهجوم ، ولكن ، يا للحسرة !
ارتددنا مرة ثانية ، كالبجعة تحاول جاهدة ،
أن تقاوم التيار فلا تفلح .
بعد أن تتبدد قواها على الموج الطاغى .
(صوت طبل يدوم فترة قصيرة)
أنصت ! هؤلاء المقتفون ، القاتلون ، إنهم يطاردوننا !
وقد أنهكت قواى فلا أستطيع الهرب من نقمتهم

ولو كنت قويًّا لما خفت غضبهم .
لم تبق من رمال عمرى سوى حبات قلائل ،
فها هنا يجب أن أمكث ، وهنا ينقضى أجلى ،

(تدخل الملكة ، وكلفورد ، ونورثمبرلند ، والأمير الشاب ، وجنود)

أقبل يا كلفورد السفاح ، ويانورثمبرلند الغليظ الجاف ،
إنى ها هنا لأزيد فى حدة نقمتكم التى لا تشفى غليلها ،
إنى هدفكم ، وإنى لمنتظر ضرباتكم .

نورثمبرلند أسلم نفسك لرحمتنا يا بلانتاجنت المتكبر ،
كلفورد : أجل ، لمثل تلك الرحمة التى أظهرتها ذراعه القاسية
نحو أبى ، حين ضربه تلك الضربة القاضية .
والآن لقد أسقط فايتون من عربته ،
وأظلمت شمسه فى وقت الظهيرة [1] .

---

(١) الإشارة إلى أسطورة فايتون الفتى ابن هليوس إله الشمس الذى طلب إلى أبيه أن يسوق مركبة الشمس ، فأذن له ، ولقلة تجربته اختلت المركبة ، ورماه المشترى بصاعقة فقتله .

يورك : إن الرماد المتخلف من حولى ، مثل الطائر فونكس[١]

قد يتحول إلى طائر آخر يثأر منكم جميعاً .

وبهذا الأمل أرنو بنظرى إلى السماء .

محتقراً كل ما توقعون بى ،

ويلكم لماذا لا تتقدمون ؟ ماذا ! أكثرة ولا شجاعة !

كلفورد : هكذا يقاتل الجبناء حينما تنسد أمامهم سبل الفرار ،

وهكذا تنقر الحمام أظافر الصقر الحادة ،

وهكذا يفعل اللصوص إذا ما يئسوا من الحياة

فيصبون اللعنات على رجال الشرطة .

يورك : أى كلفورد أجهد خاطرك مرة أخرى ،

وعد بذاكرتك إلى سابق عهدى ،

وانظر ، إذا لم يعقك الخجل ، إلى هذا الوجه ،

---

(١) الفونكس طائر خرافى إذا احترق تحول رماده إلى طائر جديد وهكذا يعيش أبداً .

وعض لسانك الذى يرمى بالجبن ذلك الذى كان من قبل إذا عبس
جعلك تهن وتضعف وتلوذ بالهرب .

كلفورد : لن أتراشق معك بكلمة ،
ولكنى أبادلك الضربات أربعًا بواحدة .

(يشهر سيفه)

الملكةمرجريت : تمهل يا كلفورد الشجاع ، فلدى ألف سبب
لإطالة حياة هذا الخائن برهة .
إن الغضب يُصِمه فتكلم أنت يا نورثمبرلند ،

نورثمبرلند : مهلا يا كلفورد . ولا توله شرف وخزة من إصبعك ،
ولو جرحت بها قلبه .
وأية شجاعة فى أن تضع يدك .
بين أنياب الكلب إذا فغر فاه ،
حين يكفى أن تركله بقدمك ؟
ومن مغانى الحرب أن تبقى على جميع الأسلاب .
وإذا كنا عشرة لواحد فليس هذا انتقاصًا من شجاعتنا

(يمسكون بيورك وهو يقاوم) .

كلفورد : هكذا يقاوم الطائر الغبي الفخ الذى أطبق عليه .

نورثمبرلند : أو هكذا يقاوم الأرنب الشبكة التى أحدقت به .

يورك : بل هكذا يختال اللصوص تيهاً على الغنيمة التى أحرزوها .

وهكذا ينهزم أشراف الرجال أمام لصوص يفوقونهم عدداً .

نورثمبرلند : ماذا تريدين جلالتك أن يفعل به الآن ؟

الملكةمرجريت : أيها المحاربان الشجاعان ، كلفورد ونورثمبرلند ،

اجعلاه يقف على هذا الكثيب المنخفض ،

فقد كان يبسط ذراعيه ليطاول الجبل ،

فلا يظفر من الجبل إلا بظله .

ماذا ؟ أأنت الذى كنت تريد أن تكون ملكاً لإنجلترة ؟

أأنت الذى كنت تثير الهياج فى مجلس برلماننا ،

وتملأ الأسماع بالحديث عن كريم محتدك ؟

أين تلك الطغمة الحقيرة من أبنائك يشدون أزرك الآن ؟

إدورد الطائش وجورج الفاسق ؟
وأين دكى ابنك الأحدب العجيب .
الذى كان يثير بصوته المتبرم أباه .
ويدفعه إلى العصيان ؟
وأين مع الباقين ابنك العزيز رتلند ؟
انظر يا يورك لقد غمست هذا المنديل بالدم
الذى جعله سيف كلفورد الشجاع ،
ينبثق من صدر الصبى ؛
فإذا فاضت عيناك بالدمع على موته .
أعطيتك هذا المنديل لتمسح به العبرات عن وجنتيك .
واحسرتاه يا يورك ! لولا ما أحسه نحوك من بغض قاتل .
لكانت حالك التعسة خليقة بأن تثير رثائى .
إنى أسألك أن تحزن ، فإن حزنك يبهجنى يا يورك .
ويلك هل جففت نيران قلبك أحشاءك ،
فغاض الدمع حتى لا تستطيع أن تذرف شيئاً منه على موت رتلند ؟

لماذا هذا الجلد يا رجل ؟ أولى بك أن تجن !
ولسوف أثير هذا الجنون بالسخرية منك .
اضرب الأرض بقدميك ! اهرف واغضب
حتى أغنى لذلك وأرقص .
أراك تريد أن تؤجر لتكون موضع سخرية لى .
إن يورك لا يستطيع الكلام إلا إذا لبس تاجًا .
هاتوا تاجًا ليور ! ويا أيها السادة انحنوا أمامه ،
وأمسكوا بيديه حتى أضع التاج على رأسه ،
(تضع على رأسه تاجاً من ورق)
حقًّا لعمرى إنه يبدو الآن كذلك ؛ نعم هذا هو
الذى جلس على عرش الملك هنرى ،
وهذا هو الذى اختاره وريثًا له .
ولكن كيف حدث لبلانتاجنت العظيم ،
أن يتوج بهذه السرعة ، فحنث بقسمه العظيم ؟
لقد كنت أحسب أنك تصبح ملكًا .
حين يلقى الملك هنرى منيته ،
فهل سارعت إلى تتويج رأسك بالمجد الذى
هو لهنرى ،
واستلاب التاج من فوق رأسه ،

وهو لا يزال بعد حيًّا ، حانثاً بقسمك المقدس ؟
هذه لعمرى جريمة شنعاء لا تغتفر .
أطيحوا بالتاج وأطيحوا مع التاج برأسه ،
ولتسارعوا بقتله قبل أن أنتهى من كلامى .

كلفورد : هذه مهمة أقوم بها من أجل أبى .

الملكة مرجريت : بل تمهل ودعنا نستمع إلى صلواته .

يورك : أيتها الذئبة الفرنسية ، إنك شر ذؤبان فرنسا .
وإن فى لسانك من السم أكثر مما فى ناب الأفعى !
كم تجافين طبيعتك النسوية
حين تختالين اختيال العاهر تتشبه بالرجال ،
وتظهرين من التشفى فى مصائب من خانهم الحظ .
لولا أن وجهك جامد لا يتأثر كأنه قناع ،
وقد أكسبته فعالك الشريرة وقاحة وجرأة ،
لحاولت ، أيتها الملكة الصلفة ، أن أجعله يحمر خجلا ،
بما أذكره عن منبتك ، ومن أين جئت ، ومن

أى سلالة انحدرت .
وفى هذا من العار الكفاية لولا أنك امرأة لا تخجلين .
إن أباك يحمل لقب ملك نابلى ،
والصقليتين وبيت المقدس ،
ولكنه لا يبلغ ثراء فلاح إنجليزى ،
فهل علمك هذا الملك المعدم كل هذه القحة والبذاءة ؟
لا ، إنك لم تكونى فى حاجة إلى هذا ،
وما كان أغناك عنه أيتها الملكة المتعجرفة ،
اللهم إلا إذا صدق فيه المثل :
أعط السائل حصانـًا يركبه حتى يهلكه .
إن الجمال كثيراً ما يملأ صدور النساء كبرياء
ولكن يعلم الله أن حظك منه قليل .
والفضيلة هى التى تجعلهن موضع الإعجاب الشديد ،
وبعدك عن الفضيلة هو الذى يثير العجب .
والكمال هو الذى يكسبهن قدسية ،
وانعدام هذا فيك يجعلك لعينة .

إنك نقيض لكل خير . بعيدة عنه بعد القطبين
منا ، أو بعد الشمال من الجنوب .
آه يا قلب نمرة فى إهاب امرأة !
كيف استطعت أن تستنزفى دم الحياة من الطفل ،
لتأمرى الأب بأن يمسح به عينيه ؟
ثم يظل لك وجه امرأة ؟
إن النساء يمتزن بالرقة ، والحنان ، والرأفة ، واللين ،
وأنت صارمة قاسية ، غليظة ، خشنة ، لا ترحمين .
أتطلبين إلى أن أهتاج ؟ لك ما تطلبين .
أتريدين منى أن أبكى ؟ لقد تحققت رغبتك ،
فالريح متى هاجت أثارت السحب المطيرة ،
حتى إذا سكنت أخذ الغيث ينهمر .
لتكن هذه الدموع هى مأتم رتلند العزيز ،
وكل قطرة منها تنادى بالثأر .

من كلفورد الدنىء ، ومنك أيتها الفرنسية الخسيسة .

نورثمبرلند : ويحى ، لقد أثار حزنه قلبى ،
حتى لا أكاد أحبس دمعى .

يورك : إن آكلى لحوم البشر ما كانوا
ليمسوا محياه أو يصبغوه بالدم ،
ولكنك أشد منهم ضراوة ، وأبعد منهم عن الرحمة .
إنك تزيدين وحشية على نمور هركانيا[1]
انظرى أيتها الملكة القاسية هذه دموع أب حزين .
هذه الخرقة بللتها بدم ابنى الحبيب
وهأنذا أغسل دمه بدمعى .
احتفظى بالمنديل واذهبى لتتباهى به ،
إنك إذا قصصت هذه القصة الأليمة بصدق لا يشوبه الكذب .
فسوف لعمرى يذرف الدمع كل مستمع ،
وسوف يبكى حتى ألد أعدائى ،

---

(١) هركانيا اسم قديم لإقليم فى إيران إلى الجنوب من بحر قزوين اشتهر عند القدماء بالوحوش الضارية .

: وسيقولون « يا للعار ! لقد كان عملا شنيعاً »
هاك التاج ، ومع التاج لعناتى أصبها عليك .
وإذا ما هرمتِ فلتكن سلوى شيخوختك ،
نفس السلوى التى أناها من يديك القاسيتين !
أى كلفورد القاسى ! ضع حدًّا لحياتى !
حتى تنطلق روحى إلى الجنة وحتى يقع وزر قتلى على رءوسكم .

نورثمبرلند : لو أنه قتل أهلى جميعاً .
لما استطعت لعمرى إلا أن أبكى معه
حين أرى كيف يعصف حزنه الدفين بروحه .

الملكةمرجريت : ماذا ! أهكذا اعترتك نوبة البكاء يا لورد نورثمبرلند ؟
ألا فاذكر الضر الذى أوقعه بنا جميعاً ،
تجف منك هذه الدموع الهاطلة .

كلفورد : هذه برًّا بقسمى ، وهذه للأخذ بثأر أبى (يطعنه)

الملكةمرجريت : وهذه لتثأر لملكنا طيب القلب (تطعنه)

يورك : رباه ياذا الجلال افتح أبواب رحمتك ،
إن روحى ستصعد إلى ملكوتك من خلال هذه الجراح (يموت)

الملكةمرجريت : اقطعوا رأسه وعلقوه علي أبواب بلدة يورك ،
حتى يظل يورك مشرفًا على مدينة يورك .

(طبول ويذهبون)

الفصل الثانى

المنظر الأول

سهل قرب صليب مورتيمر بهرتفورد شير
صوت طبول ، جيش زاحف ، يدخل إدورد ورتشارد وقواتهما .

إدورد : لست أدرى كيف استطاع أبونا الأمير العظيم الهرب ،
بل لست أدرى هل استطاع النجاة
من مطاردة كلفورد ونورثمبرلند له .
لو أنه أسر لبلغنا الخبر ،
ولو كان قتل لجاءنا النبأ ،
ولو أنه نجا فأكبر الظن
أننا كنا نسمع خبر نجاته السعيدة .
ماذا بك يا أخى ، ولم أراك هكذا محزونًا ؟

رتشارد : لا أستطيع الفرح حتى أعرف ما أصاب والدنا الشجاع .
لقد رأيته بعينى فى المعركة يجول ويصول ،

ثم رأيته يستخلص كلفورد من بين الجمع ،
وأظن أنه حمله وسط الجند المتكاثفين ،
وكأنه أسد وسط قطيع من الماشية ،
أو دب أحاطت به الكلاب .
فإذا نهش بعضها وصرخت من فرط الألم ،
وقف سائرها بعيداً وهى تنبح .
هكذا حمل أبونا على الأعداء ،
وهكذا ولى الأعداء من شدة بأسه .
لعمرى . إنه ليكفينى فخراً أن أكون ابناً له
انظر كيف يفتح الصباح أبوابه الذهبية ،
ويرسل الشمس مشرقة باهرة ،
ألا ما أشبه ذلك بالشباب فى عنفوانه ،
يخطر فى أبهته ويميس أمام محبوبته .

إدورد : هل بهر الضوء عينى ؟ أم ترانى أشهد شموساً ثلاثاً ؟

رتشارد : ثلاث شموس باهرة ، كل واحدة منها شمس فى تمامها ،
لا يحجبها سحاب يشتتها .
بل تختال فى سماء صافية .

انظر ، انظر ، إنها تقترب ، وتتعلق ،
وتبدو كأنها يقبل بعضها بعضًا ،
وتبرم ميثاقًا لا يقبل النقض .
والآن استحالت مصباحًا واحداً ، ونوراً واحداً وشمسًا واحدة .
إن السماء بهذا الأمر تنبئ عن حادث يقع .

إدورد : هذا عجب عجاب لم يسمع الناس بمثله من قبل ،
وظنى أن هذا يدفعنا يا أخى إلى الميدان
حتى نستطيع نحن أبناء بلانتاجنت الباسل ،
وإن كان لكل منا مجده الباهر .
أن نضم أضواءنا بعضها إلى بعض ،
فنملأ الأرض نوراً وهاجًا ، كما تضىء هذه الشمس الكون[1] .
ومهما كان ما ينبئ به هذا ،
فسأجعل على درعى ثلاث شموس مضيئة .

رتشارد : لا بل اجعلها ثلاث بنات ، إن أذنت لى بهذا القول ،

---

(١) هنا تلاعب بالألفاظ فإن Sun بمعنى شمس و Son ابن لا فرق بينهما فى النطق .

فإنك لتفضل الفتيات المنجبات على البنين

(يدخل رسول)

ولكن من تكون يا هذا الذى تنبئ ملامحه الكئيبة

عن نبأ رهيب معلق بلسانه .

الرسول : إنه نبأ كان من تعسى أن أشهده ،
أن أشهد مصرع دوق يورك النبيل ،
أبيكم الأمير وسيدى المحبوب .

إدورد : حسبك هذا ، لقد سمعت ما فوق الكفاية .

رتشارد : إذن فصف لى كيف مات ، فإنى أريد أن أستمع إلى الأمر كله .

الرسول : لقد أحاط به أعداء كثيرون ،
ولكنه ثبت لهم كما ثبت بطل طروادة [١] .
للإغريق الذين أرادوا دخولها .
ولكن هرقل نفسه لا شك ينهزم أمام الكثرة ،
وإن الضربات المتوالية ، وإن كانت بفأس صغيرة ،

---

(١) البطل الطروادى المقصود هو هكتور .

لتقطع السنديانة الصلبة وتلقيها على الأرض .
وهكذا غلبت الكثرة أباك .
ولكن يد كلفورد الحاقدة ، ويد الملكة ، هما اللتان قتلتاه .
أما الملكة فقد توجت الدوق النبيل نكاية وسخرية ،
وضحكت منه ، فلما بكى من شدة الحزن ،
ناولته الملكة القاسية منديلا يمسح به دمعه ؛
منديلا اصطبغ بدم رتلند الجميل .
الفتى البرىء الذى ذبحه كلفورد الفظ .
وبعد ما أمعنوا فى السخرية والشتائم البذيئة ،
قطعوا رأسه وعلقوه على أبواب يورك .
حيث لا يزال معلقاً .
ولم أرَ فى حياتى منظراً أبعث للحزن من ذلك المنظر .

إدورد : أى دوق يورك السمح ، يا عماد بيتنا الذى عليه نعتمد .
فأما وقد مت فقد ذهب سندنا وهوى عمادنا .
ويك يا كلفورد الوحشى . لقد ذبحت .

زهرة أوربا جزاء شهامته وبسالته ،
وغلبته بالغدر والخيانة ،
ولو أنك برزت له منفرداً لكان له الفوز والغلبة .
والآن بات القصر الذى تسكنه روحى سجناً لها ،
فليتها تنطلق منه حتى يتاح لهذا الجسد .
أن يوراى الثرى ويستريح !
إنى لن أعرف الفرح بعد اليوم ولن أرى سعادة أبد الدهر

رتشارد : لا أستطيع البكاء ، فهيهات أن يستطيع
ما بجسمى من سوائل أن يطفئ أتون قلبى المحترق ،
أو يستطيع لسانى أن يزيح العبء الفادح الجاثم على قلبى ،
فإن أنفاسى نفسها التى لا بد لى أن أستخدمها فى الكلام ،
هى الآن تشعل الوقود الذى يؤجج نيران صدرى
ويحرقنى بلهيب ، لا بد للدمع أن يطفئه .
إن البكاء يجعل الحزن ضحلا قريب الغور .

فلأدع الدموع إذن للأطفـــال ، وليكن لى الضرب والثأر .

رتشارد إنى أحمل اسمك ، وسأثأر لموتك

أو أموت فأكسب المجد ، إذ أحاول الثأر .

إدورد : لقد ترك لك الدوق الشجاع اسمه ،

كما ترك لى دوقيته وكرسى ملكه .

رتشارد : كلا ! وإذا كنت ابن هذا النسر النبيل حقًّا ،

فأقم الدليل على صحة نسبك إليه بأن تحدق فى الشمس (١) ،

وإلا فالدوقيـــة ، والعرش ، والمملكة كلها ، تقول :

إما أن تفعل هذا وإلا فلست ابنًا له .

(صوت جنود زاحفة . يدخل وريك وماركيز منتجيو وجيشهما)

وريك : والآن أيها السادة الكرام كيف الحال ، وما الأخبار ؟

---

(١) إشارة إلى ما يوصف به النسر من المقدرة على التحديق فى الشمس ، والمعنى الذى يرمى إليه ريتشارد بقوله التحديق فى الشمس هو بلا شك مواجهة الموقف الخطير بجرأة وإقدام .

رتشارد : يا لورد وريك العظيم ، لو أنا قصصنا أخبارنا السيئة .
وجعلنا مع كل كلمة تقال
طعنة خنجر فى جسدنا ، حتى ننتهى من كلامنا ،
لكانت الكلمات أشد إيلامًا من الجراح .
أيها السيد الشجاع لقد صرع دوق يورك .

إدورد : آه يا وريك ، يا وريك إن بلانتاجنت ،
الذى كان يعزك كأن فيك الخلاص لنفسه ،
قد كال له لورد كلفورد القاسى الطعن حتى أماته .

وريك : لقد أغرقت هذا النبأ بدمعى الهتون منذ عشرة أيام .
وهأنذا الآن أضيف إلى أحزانكم أحزانًا جديدة ،
وأقص عليكم ما وقع بعدئذ من أحداث .
ذلك أنه على أثر تلك المعركة الدامية .
التى دارت رحاها بويكفيلد ؛
حيث لفظ أبوكم الشجاع آخر أنفاسه ،
جاءتنى الأنباء بأسرع مما يسير البريد ،
تحمل أنباء خسارتكم وموت أبيكم ،

وكنت وقتئذ فى لندن أقوم على حراسة الملك ،
فعبأت جنودى وجمعت كثيراً من أصدقائى
وأقمت الجند فى مراكزهم كما عنّ لى ،
وسرت من هناك إلى سانت أولبنز لأعترض طريق الملكة ،
وقد أخذت الملك معى تحت حراستى ،
لأنى علمت من طلائعى
أن الملكة تسعى جاهدة إلى هناك ،
لتغى القرار الذى اتخذناه فى البرلمان .
خاصًّا بقسم الملك هنرى ، وتوليكم العرش من بعده .
وقصارى القول إننا قد التقينا فى سانت أولبنز ،
واشتجر القتال ، وتناحر الفريقان . وتطاحنا أشد التطاحن .
ولست أدرى أكان ثبات الملك
وهو ينظر فى رقة وحنان إلى ملكته المقاتلة ،
أم كان ما شاع بين الجنود من أخبار انتصارها ؛
هو الذى سلب جنودى حماستهم ؟
أو لعله الخوف الشديد من بطش كلفورد ،

الذى يرعد ويبرق فى وجه أسراه ويتعطش إلى
سفك دمائهم .
ولكن الحق أن سيوفهم كانت تروح وتغدو ،
كأنها البرق ،
أما أسياف جنودنا فكانت كبومة الليل تنطلق
متراخية
أو كحصاد يعمل منجله فى تراخ ،
كانوا يضربون فى رفق ، كأن الواحد منهم
يطعن أصدقاءه .
وكنت أستثير حميتهم بعدالة قضيتنا تارة ،
وتارة بما وعدتهم من مال وفير وجزاء أوفى ،
ولكن كل ذلك ، ذهب أدراج الرياح ،
فقد انخلعت منهم القلوب ،
وذهب بذلك أملنا فى النصر ،
فولينا الأدبار والتقى الملك بالملكة ،
وقدمنا أنا ولورد جورج أخوك ولورد نورفوك
بأسرع مما يسافر البريد ، لننضم إليكم ،
لما علمناه من أنكم معسكرون ههنا فى السهول ،
وأنكم تعدون العدة لقتال جديد .

إدورد : وأين دوق نورفويك أى وريك النبيل ؟
ومتى قدم جورج من برجندى إلى إنجلترة ؟
وريك : فأما الدوق فهو مع الجند على بعد ستة أميال من هنا ،
وأما أخوك فقد وصل أخيراً بالمدد
الذى نحتاج إليه فى هذه الحرب
من عند عمتك الطيبة دوقة برجندى .
رتشارد لقد كان عجيباً فى رأيى أن يفر وريك الشجاع ،
فلطالما سمعت عن بسالته فى الطراد ،
ولكنى لم أسمع حتى الآن عن فراره الذى يجلله العار ،
وريك : ولن تستمع الآن ، يا رتشارد ، إلى العار الذى يجللنى أنا ،
ولسوف تعلم أن ذراعى اليمنى القوية ،
تستطيع أن تختطف التاج من رأس هنرى الضعيف ،
وتنتزع الصولجان الرهيب من قبضته ،
ولو كان له من الشجاعة فى الحرب .

مثل ما اشتهر به من طيبة ، وإيثار للسلام ،
وميل للتعبد .

رتشارد : لا تلمني يا لورد وريك ، فإني أعلم ذلك حق العلم ،
فحبي لمجدك هو الذى يحملني على الكلام ،
ولكن ماذا أفعل فى هذه الأوقات العصيبة ؟
أنخلع الدروع ونتشح بملابس الحداد .
ونتلو الدعوات على المسابح ؟
أم نظهر وفاءنا وإخلاصنا
بأن نثأر لأنفسنا بضرب رءوس أعدائنا ؟
فإن كانت الثانية فقولوا نعم ،
وهيا إلى الحرب يا سادة .

وريك : ولهذا جاء وريك ليبحث عنكم ؛
: ولهذا أيضاً جاء أخي منتجيو .
استمعوا إلى يا سادة ، إن الملكة الوقحة المتكبرة
ومعها كلفورد ، ونورثمبرلند المتغطرس ،
وكثير من المتكبرين أمثالهم ،
قد جعلوا الملك اللين العريكة أطوع لهم من ظلهم

بعد أن أقسم اليمين على تولى بيتكم العرش ،
وسجل هذا القسم فى البرلمان ،
وهم جميعًا يجدون السير إلى لندن ،
ليحبطوا ذلك القسم ، وكل تعهد آخر
يكون ضارًّا بمصالح بيت لانكستر
وأظن أن لديهم ثلاثين ألف مقاتل ،
ولكننا إذا استطعنا بمعاونة رجالى ورجال نورفوك ،
وبمن تستطيع أنت يا إيرل مارتش الشجاع أن تحشدهم
من أهل ويلز الموالين لك .
أن نجمع خمسة وعشرين ألف مقاتل .
فإننا سنتخذ طريقنا إلى لندن .
ممتطين مرة أخرى صهوة جيادنا المرغية المزبدة ،
ونادى مرة أخرى ، هيا اهجموا على أعدائنا !
ولن نرتد بعدئذ على أعقابنا أو نولى الأدبار .

رتشارد: أحسبنى الآن أستمع إلى صوت وريك العظيم ،
ما عاش ولا رأى ضوء النهار من يصيح :
تراجع ! إذا أمره وريك بالثبات .

إدورد: إنى لأعتمد عليك يا لورد وريك ،

فإذا سقطت ، معاذ الله ، سقط معك إدورد لا محالة ،
وحاشا الله أن يكون ذلك .

وريك : لم تعد إيرل مارتش ، بل أصبحت دوق يورك .
والخطوة التالية هي عرش إنجلترة الملكي ،
لأننا سننادي بك ملكاً على إنجلترة ، في كل بلد نمر به
ومن لا يقذف بقلنسوته في الهواء ابتهاجاً بهذا النداء ،
فسيجزى عن سوء فعله بقطع رأسه .
أيها الملك إدورد ، ويا رتشارد الباسل . ويا منتجيو ،
هلموا بنا ! ولا نقعدن هنا نحلم بالمجد ،
بل انفخوا في الأبواق وهيا للعمل .

رتشارد : إذن فلو كان قلبك يا كلفورد أشد من الحديد ،
كما دل مقالك على أنه كالحجارة أو أشد قسوة ،
فهأنذا في سبيلي إليك أمزق قلبك أو تمزق قلبي ،

إدورد : إذن فدقوا الطبول ، وليكن الله والقديس جورج في عوننا . (يدخل رسول)

ووريك : ماذا وراءك ؟ ما الخبر ؟

الرسول : إن دوق نورفوك يحملني إليك رسالة .
إن الملكة قادمة فى جيش قوى .
وهو يلتمس اللقاء للتشاور فى الأمر على الفور .

ووريك : وهكذا تستبين الأمور ، أيها المحاربون الشجعان
هيا بنا .

(يتقدمون)

الفصل الثانى

المنظر الثانى

قرع طبول . يدخل الملك هنرى ، والملكة مرجريت ، وأمير ويلز ، وكلفورد ، ونورثمبرلند ، على قرع الطبول والنفخ فى الأبواق .

الملكةمرجريت : مرحبًا بك يا مولاى فى مدينة يورك الباسلة ،
وهذا رأس ألد أعدائك ،
الذى كان يسعى إلى أن يطوقه تاجك :
ألا يطرب هذا المنظر قلبك ، يا مولاى ؟

الملك هنرى : أجل ، كما تطرب الصخور السفن التى تخشى أن تتحطم عليها ،
وإن رؤية هذا المنظر لتحز فى نفسى .
أسألك يا رب ألا تنتقم منى ! فليس هذا الذنب ذنبى .
ولم أحنث عامداً فى قسمى .

كلفورد : مولاى الرحيم ، ينبغى لك
أن تمحو من قلبك هذا اللين المفرط . وتلك

الرحمة الضارة .
ترى منذا الذى توليه الأسود نظرات الرحمة والحنان ؟
أتوليها الوحش الذى يسعى لاغتصاب حريتها ؟
وأى يد تلعقها دببة الغاب ؟
إنها ليست يد الذى يفترس صغارها أمام عينيها .
ومنذا الذى ينجو من عضة الأفعى المميتة المختبئة ؟
ليس هو الذى يطأ ظهرها بقدميه .
إن أصغر الديدان لتلتوى إذا ما وطئتها الأقدام ،
وإن الحمام لينقر دفاعاً عن فراخه ،
ودوق يورك الطموح كان يبتغى لبس تاجك ،
وكنت تبتسم وهو عابس مقطب الجبين .
وكان ، وهو دوق لا أكثر ، يريد أن يكون ابنه ملكاً ،
ويعمل لكى يرقى مقام أبنائه كما يعمل الأب المحب لبنيه .
أما أنت يا صاحب الملك ، وقد من الله عليك بابن كريم ،

فقد رضيت أن تحرمه حقه .
وأثبت بذلك أنك من أكثر الآباء بغضًا لأبنائهم .
إن الخلائق العجماوات التى لا عقل لها لتطعم صغارها ،
وهى وإن روعها وجه الآدميين ،
لتهب للدفاع عن صغارها الضعاف ،
ضد ذلك الذى لم ير تلك الصغار بعد ، وتضرب بأجنحتها
التى استعانت بها على الطيران وهى مروعة
ذلك الذى صعد إلى عشها .
عار عليك يا مولاى ألا تقتدى بتلك الطيور .
اقتد بهذه الطيور ،
أليس من المؤسف أن يفقد هذا الغلام الطيب
حقه الذى له بحكم مولده نتيجة لخطأ يقع فيه أبوه .
فيقول لابنه على طول الزمن فيما بعد ،
« إن ما ناله جد أبى وجدى ،
قد أضاعه أبى بإهماله وحماقته ؟

ذلك عمل إذا حدث يجللك بالعار ! انظر إلى
الغلام ،
ودع وجهه الذى يفصح عن صفات الرجال ،
والذى يبشر بالمستقبل ، بالمستقبل الطيب
الموفق ،
يقوِّ قلبك الخائر . فتستمسك بحقك .
وتورثه هذا الحق من بعدك ،

الملك هنرى : لقد خطب كلفورد فأجاد كل الإجادة ،
وأتى بأعظم الحجج وأقواها .
ولكنى أسألك يا كلفورد ، ألم تسمع فى يوم
من الأيام
أن المال الحرام يذهب من حيث أتى ؟
وهل سمعت يومًا أن السعادة كانت على الدوام
من نصيب ذلك الابن
الذى حُشِرَ والده ، لما كنزه من مال ، فى نار
الجحيم ؟
ألا إنى سأخلف لولدى أعمالى الصالحة من
بعدى ،
وليت العالم يورثنى شيئًا غير هذه الأعمال !

ذلك أن كل ما عداها يتطلب الاحتفاظ به
من النصب
أضعاف أضعاف ما يأتى به من السعادة
القليلة .
أى ابن عمى دوق يورك ، ليت خير أصدقائك
يعرفون
مبلغ حزنى إذ أرى رأسك فى هذا المكان !

الملكة مرجريت : مولاى ، قوِّ قلبك ودع تلك الأحزان . وإن
العدو على الأبواب ،
وإن هذا الضعف البادى منك ليبعث الخور
فى قلوب أتباعنا .
لقد وعدت من قبل أن نرفع ابننا هذا الهمام
إلى مرتبة الفرسان ،
فهيا جرد سيفك واخلع عليه لقب « الفارس »
من فورك .
هيا اركع يا إدورد .

الملك هنرى : يا إدورد بلانتاجنت . قم فأنت فارس ،
وتلق هذا الدرس ، جرد سيفك دفاعاً عن الحق .

الأمير : أبى الكريم ! بإذنك أيها المليك ،

سأجرده دفاعًا عن التاج ،
ولن أغمده فى هذا الصراع أو ألقى منيتى .

كلفورد : مرحى ! هذا الكلام خليق بأن يصدر من أمير باسل .

(يدخل رسول)

الرسول : يا قواد جيش الملك ، خذوا حذركم ،
: فإن وريك مقبل عليكم بجيش ،
فى ثلاثين ألف مقاتل ، يؤيدهم دوق يورك ،
وكلما مر ببلد نادى به ملكًا ،
وما أكثر من يهرعون إليه .
نظموا صفوفكم ، فأعداؤكم قريبون منكم .

كلفورد : أرجوك يا صاحب الجلالة أن تغادر ميدان القتال ،
لأن الملكة تظفر بأعظم النصر وأنت غائب .

الملكةمرجريت : أجل يا مولاى الكريم ، ودعنا ومصيرنا .

الملك هنرى : إن مصيركم هو مصيرى أيضًا ، ولذلك فإنى باق معكم .

نورثمبرلند : إذن فليكن وأنت معتزم القتال .

الأمير : أبى يا صاحب الجلالة الملكية ؛ اشدد عزائم

هؤلاء الأمجاد ،
وقوِّ قلوب من يقاتلون دفاعـًا عنك .
جرد حسامك يا أبى الكريم ! وناد : « كن فى عونى يا قديس جورج ! » .

(رحف . يدخل إدورد ، وجورج ، ورتشارد ، ووريك ، ونورفوك ، ومنتجيو ، وجنود)

إدورد : والآن يا هنرى . يا من حنثت فى يمينك ،
هل لك أن تجثو على ركبتيك ؟
تطلب المغفرة وتضع التاج على مفرقى ؟
أو تترك الأمر إلى ميدان القتال ،
وما يسفر عنه من حظ فيه هلاك واحد منا !

الملكة مرجريت : ويلك أيها المتغطرس الوقح .
صب هذا التقريع على أتباعك
أيليق بك أن تنطق بهذه الألفاظ النابية
فى حضرة سيدك ومليكك الشرعى ؟

إدورد : إنى أنا مليكه ، وعليه أن يجثو على ركبته أمامى ،
لقد نودى بى وارثـًا للعرش برضاه .
وهاهو ذا ، بعد ذلك ، قد حنث فى يمينه .
فلقد سمعت أنك . وأنت الملكة بالفعل ، وإن

كان هو يلبس التاج ،
قد حملته على أن يستصدر قرار جديداً من البرلمان ،
بإلغاء حقى فى العرش ، وإحلال ولده محلى .

كلفورد : وذلك حق لا جدال فيه ،
فمنذا الذى يخلف الأب غير الابن ؟

رتشارد : أأنت هنا أيها السفاح ؟ لقد انعقد لسانى فلا أستطيع الكلام .

كلفورد : نعم أيها الأحدب ، هأنذا أقف لأرد عليك ،
وعلى أكبر متغطرس من أمثالك .

رتشارد : لقد كنت أنت الذى قتل الشاب رتلند ، أليس كذلك

كلفور : بلى ، وقتلت معه يورك العجوز ، ولما يشف هذا غليلى .

رتشارد : بالله يا سادة ، مروا ببدء القتال .

وريك : ما قولك يا هنرى ، أتسلم التاج ؟

الملكةمرجريت : ويحك يا وريك ياذا اللسان الطويل !
لا تجرؤ على النطق بهذه الألفاظ .

ألا تذكر يوم التقيت بك آخر مرة فى سانت أولبنز
فكانت ساقاك أنفع لك من يديك ؟

وريك : لقد كان دورى وقتئذ هو الفرار ، أما الآن فهو دورك أنت .

كلفورد : لقد قلت مثل هذا القول من قبل ، ومع ذلك فقد وليت الأدبار .

وريك : لم تكن شجاعتك ، يا كلفورد ، هى التى أبعدتنى عن ذلك المكان .

نورثمبرلند : وليست رجولتك هى التى تجعلك تجرؤ على الثبات .

رتشارد : يا نورثمبرلند : إنى أجلك ، ولكننى أدعوك إلى قطع هذا الحديث ،
فإنى لا أستطيع أن أرد نفسى عن أن أصب ما يضيق به صدرى
على رأس كلفورد المتحجر القلب قاتل الأطفال

كلفورد : إنما قتلت أباك ، فهل تدعو أباك هذا طفلا ؟

رتشارد : نعم لقد فعلت فعل الجبان الغادر الدنىء .
فقتلته كما قتلت أخانا رتلند الغض الشباب ،

ولكنى سأرغمك على أن تلعن فعلتك هذه قبل مغيب الشمس .

الملك هنرى : دعكم من التراشق بالألفاظ يا سادة ، واستمعوا إلىّ .

الملكةمرجريت : أنذرهم إذن ، وإلا فأمسك لسانك .

الملك هنرى : أرجوك ألا تفرضى القيود على لسانى ،
فأنا ملك ومن حقى أن أتكلم .

كلفورد : مولاى ، إن الجرح الذى كان سببًا فى لقائنا بهذا المكان
لا يمكن أن يلتئم بالكلام ، ولهذا أرجوك أن تلزم الصمت .

رتشارد : إذن فجرد سيفك أيها الجلاد .
قسمًا ببارئ الخلق أجمعين ،
إنى لا يخالجنى شك فى أن رجولة كلفورد ليست إلا شقشقة لسان .

إدورد : تكلم يا هنرى ، أأنال حقى أم لا أناله ؟
إن من ورائى ألف رجل قد أفطروا اليوم ،
ولكنهم لن يذوقوا الغداء حتى تسلم التاج .

وريلك : فإن أبيت فتبعة ما يراق من دماء واقعة على رأسك .
لأن دوق يورك قد انتضى سيفه لنصرة الحق .

الأمير : إن كان حقًّا ما يقول وريك إنه حق :
فلن يكون ثمة شيء باطل ، بل سيصبح كل شيء حقًّا .

رتشارد : أيًّا كان أبوك ، فها هي ذى أمك واقفة ،
وأنا أعلم حق العلم أن لسانك هو لسان أمك .

الملكةمرجريت : أما أنت فلست شبيهًا بأبيك ولا بأمك ،
ولكنك إنسان قذر ، مشوه ، زنيم ،
وسمتك الأقدار بميسم ينبذك الناس من أجله ويبتعدون عنك ،
كما يبتعدون عن الضفادع السامة ،
والوزغ ذات اللدغات الرهيبة .

رتشارد : أيا حديد نابلى الخسيس ، غشاه طلاء من ذهب إنجلترة ،
يا من يحمل أبوها لقب ملك ، كأن من حق القناة أن تلقب بحراً ،
ألا تستحين ، وأنت لا تجلهين منبتك ،

أن تطلق لسانك فيكشف عن أصلك الحقير ؟

إدورد : إن حزمة من القش لتساوى ألف تاج ،

لو أنها جعلت هذه السليطة الفاجرة تعرف حقيقة أمرها .

لقد كانت هلين اليونانية تفوقك جمالا ،

ومع ذلك فقد يكون زوجك منلوس [1] ،

ولم يصب أخوه أجممنون من جراء فعلة هذه المرأة الخائنة

بمثل ما أصيب به هذا الملك بفعلك .

لقد كان أبوه [2] يصول غير مدافع فى قلب فرنسا ،

وأخضع ملكها وأذل ولى عهدها ،

ولو أنه زوجه زواجًا يليق بمكانته ،

لكان غير بعيد أن يحتفظ بهذا المجد حتى اليوم .

لكنه حين اتخذ متسولة مثلك قرينة له ،

---

(١) منلوس هو زوج هلين اليونانية التى فرت مع باريس إلى طروادة وعاشت معه ، وكان فرارها هذا سبب الحرب التى شبت نارها بين طروادة والمدن اليونانية ، كما ورد فى إلياذة هوميروس ، وأجممنون ملك إسبرطة هو أخو منلوس الذى حارب معه الطرواديين .

(٢) الملك هنرى الخامس .

متفضلا بزواجه هذا على أبيك ،
غشيت نجمه الساطع سحابة فى ذلك اليوم نفسه ،
تجمعت فهطلت مطراً غزيراً ،
اكتسح ما كان له من أملاك فى فرنسا ،
وأثار الفتنة على تاجه فى بلده .
وإلا فما الذى أثار هذا النزاع غير كبريائك ؟
ولو أنك كنت على شىء من الوداعة
لظل حقنا هذا مستكناً على الدوام ،
ولأرجأنا نحن المطالبة به إلى غير هذا الوقت ،
رحمة منا بهذا الملك الوديع .

جورج : فلما رأيناك قد أينعت فى ضوء شمسنا
إيناع النبت فى الربيع .
وازدهرت فلم يصب أحد منك خيراً ،
أعملنا الفأس فى جذورك التى حلت فى غير أرضها .
ألا فلتعلمى أننا ، وإن عاد علينا عملنا بشىء قليل من الأذى .
فإننا ، وقد بدأنا نضرب فيك بمعولنا ،
لن نرجع عما نحن بسبيله حتى نجتث جذورك

أو نروى بدمائنا السخية منبتك ،
إدورد : وليكن عزمنا هذا تحدياً لى منك ودعوة للقتال ،
فلسنا نرغب بعدئذ فى التفاوض ،
ما دمت قد منعت الملك الوديع من الكلام .
انفخوا فى الأبواق ، وانشروا بنود القتال ،
خفاقة فى الهواء .
فإما إلى النصر ، وإما إلى القبر .
الملكة مرجريت : تمهل يا إدورد .
إدورد : لن أتمهل ، أيتها المرأة المجادلة ، ولن نبقّى هنا
بعد الآن :
إن هذه الألفاظ ستودى اليوم بحياة عشرة
آلاف من الرجال

(يخرجون)

الفصل الثانى

المنظر الثالث

ميدان قتال بين تونتن وسكستن من أعمال يوركشير
طبول . . . مناوشات . . . يدخل وريك . . .

وريك : لقد أنهك العمل المجهد قواى ، كما ينهك
العدائين فى سباق ،
وسأرقد برهة من الوقت ألتقط فيها أنفاسى ،
لأن ما تلقيته من طعنات ، وما كلته من
ضربات ،
قد سلبا عضلاتى المتينة كل ما فيها من قوة ،
ومهما تأت به الأقدار فلأستريحن قليلا .

(يدخل إدورد مهرولا)

إدورد : ابتسمى أيتها السماء الرحيمة ؛ أو سدد لنا
ضرباتك أيها الموت القاسى !
لأن هذا العالم قد تجهم لنا ، وآذنت شمس
إدورد بالأفول

وريك : ما الخبر يا سيدى ؟ وما هو حظنا ؟ وهل لنا

أمل فى خير نرتجيه ؟ (يدخل جورج)

جورج : فأما حظنا فهو الخسران ، وأما أملنا فهو اليأس المحزن ،
لقد تحطمت صفوفنا ، وحاق بنا الدمار ،
فماذا تشيرون ؟ وأنى يكون الفرار ؟

إدورد : فأما الفرار فلا فائدة منه ، لأنهم يتعقبوننا جادين مسرعين ،
ونحن ضعاف لا نستطيع الإفلات من المطاردين (يدخل رتشارد)

رتشارد : آه ، يا وريك ، لم انسحبت من الميدان ؟
وقد ارتوت الأرض الظمأى بدماء أخيك ،
بعد أن نفذت فيه طعنة من سنان رمح كلفورد ،
وصاح وهو يعالج سكرات الموت ،
صيحة تسمع من بعيد كأنها صلصلة أجراس حزينة ،
« الثأر ، يا وريك ، الثأر يا أخى لموتى ! »
وبهذا أسلم السيد النبيل الروح تحت سنابك خيلهم ،
بعد أن تلطخت حوافرها بدمائه الزكية ،

وريك : إذن فلترو دماؤنا الأرض ،
وسأقتل جوادى لأنى لا أريد الفرار .
ولم نقف فى هذا المكان كما تقف النساء اللاتى لا مرة لهن ،
نندب خسائرنا ، والعدو يرغى ويزبد ،
نشاهد ما يقع ، كأن المأساة مسرحية هازلة
يقوم بأدوارها ممثلون مقلدون ؟
وهأنذا أجثو على ركبتى ، وأقسم بالله العلى الأعلى ،
ألا أقف مرة أخرى عن القتال ،
حتى يغمض الموت عينى هاتين ،
أو يتيح لى الحظ كفايتى من الانتقام .

إدورد : وإنى لأركع معك يا وريك ،
وأربط روحى بروحك فى هذا القسم .
وقبل أن أرفع ركبتى عن وجه الأرض الذى لا حرفيه .
أمد يدى ، وأرنو ببصرى ، وأهفو بقلبى ،
لك يا رب يا رافع الملوك وخافضهم ،
متوسلا إليك إذا اقتضت مشيئتك

أن يكون بدنى هذا فريسة لأعدائى ،
أن تفتح لى أبواب جنتك الموصدة ،
وأن تهدى روحى الآثمة الصراط المستقيم ،
والآن أيها السادة ، انصرفوا ، وإلى اللقاء مرة أخرى ،
حيثما يكون اللقاء ، سواء فى الأرض أو فى السماء .

رتشارد : أخى امدد إلى يدك ، وأنت يا وريك الكريم ،
دعنى أضمك بين ذراعى المتعبتين ،
وأنا الذى لم تدمع عيناى قط ، أذوب الآن حسرة ،
لأن المصائب قد قضت على ما كان لنا من نعيم .

وريك : هيا بنا ، هيا بنا ! ! وداعاً مرة أخرى أيها السادة النجب

جورج : هلموا بنا جميعاً نسير إلى جنودنا .
ولنأذن لكل من لا يريد الثبات معنا بالفرار ،
أما الذين يبقون معنا فسيكونون هم عوننا وحصننا الحصين .

لنعدهم بأننا إذا حالفنا النصر ، جازيناهم
بما كان يجزى به المنتصرون فى الألعاب الأولمبية .
فقد يبث هذا روح الشجاعة فى قلوبهم المنخوبة ،
لأنا لا نزال نأمل فى الحياة وفى النصر .
لا تتباطئوا بعد الآن ، وهلموا بنا إلى الفوز .

الفصل الثانى

المنظر الرابع

جزء آخر من ميدان القتال

مناوشات . يدخل رتشارد وكلفورد

رتشارد : هأنذا يا كلفورد قد ظفرت بك منفرداً .
هب هذه الذراع تثأر لمقتل دوق يورك ،
وهذه لمقتل رتلند ، كلتاهما مصممة على الانتقام منك ،
ولو كنت محوطاً بأسوار من نحاس .

كلفورد : استمع يا رتشارد ، إنك الآن أمامى بمفردك ،
وهذه هى اليد التى طعنت بها أباك دوق يورك ،
وهذه هى اليد التى ذبحت بها أخاك رتلند ،
وذاك هو القلب الذى يبتهج بموتهما ،
وينادى هاتين اليدين اللتين أزهقتا روح أبيك وأخيك ،

بأن تفعلا بك ما فعلنا بهما . فخذ هذه منى !

(يقتتلان ، ويدخل وريك ، ويفر كلفورد)

رتشارد : لا يا وريك ، التمس لك طرازاً غير هذا
فسوف أطارد أنا هذا الذئب أو أهلكه .

(يخرجان)

الفصل الثانى

المنظر الخامس

جزء آخر من الميدان — دعوة إلى القتال

يدخل الملك هنرى وحده

الملك هنرى : إن هذه الحرب سجال ، أشبه ما تكون بما
يحدث من عراك فى الصباح ، حين
تصطرع السحب المدبرة مع الضوء المقبل
المتزايد ، وحين ينفخ الراعى فى أظافره ،
وهو لا يدرى أيسمى الوقت نهاراً ساطعاً
أم ليلا .
فهى تميل إلى هذا الجانب تارة ، كأنها بحر لجى
يدفعه الموج ليقاتل الريح ،
وتميل تارة أخرى إلى ذلك ، كأنها هذا البحر
بعينه ،
اضطره إلى التراجع عصف الريح .

فحيناً يغلب الموج ، وحيناً تغلب الريح ،
يعلو أولهما ساعة ، ثم تعلو عليه الثانية ساعة أخرى .
يريد كلاهما أن ينتزع لنفسه النصر ، ويقفان وجهاً لوجه ،
ولكنهما يخرجان لا غالب ولا مغلوب :
هكذا شأن هذه الحرب اللعينة التى تتعادل فيها الكفتان .
فلأجلسن على هذا الكثيب المنخفض ،
وسيكون النصر لمن يريده له الله !
فقد أبعدتنى الملكة ، وأبعدنى كلفورد أيضاً عن المعركة ،
وأقسم كلاهما أنهما يصيبان كل النجح حين أكون بعيداً عنها .
ألا ليتنى مت قبل هذا ! إن كانت هذه مشيئة الله ،
فأى شىء فى هذا العالم غير الأحزان والآلام ؟
رباه ! إنى لأظن أنى أسعد بالحياة ، لو لم أكن

خيراً من فلاح وضيع ؛
أجلس على تل ، كما أجلس فى هذه الساعة ،
أرسم على الأرض مزاول عجيبة ، نقطة بعد نقطة
أرقب بها الدقائق وهى تمر .

وأحسب كم دقيقة تكمل بها الساعة ،
وكم ساعة يتم بها اليوم ، وكم يومًا يحتويها العام ،
وكم عامًا يعيشها الإنسان الفانى ،
حتى إذا فرغت من هذا ، عدت أقسم الوقت .
كم من الساعات أرعى فيها غنمى ،
وكم من الساعات أستريح فيها من عناء عملى ،
وكم من الساعات أفكر فيها وأتأمل ،
وكم من الساعات أخصها لرياضتى ،
وكم من الأيام قضتها نعاجى فى الحمل .
وكم أسبوعًا تمضى قبل أن نفطم هذه البله المساكين ،
وكم سنة تمضى قبل أن أجز الصوف .
وهكذا تمر الدقائق ، والساعات ، والأيام ،

والشهور ، والسنون ،
حتّى تنتهى إلى أجلها الذى خلقت له
فتكلل الرأس بالمشيب ، وتؤدى إلى القبر
الساكن الهادئ .
ألا ما كان أسعد هذه الحياة ، وما أحلاها !
وأجملها !
أليس الظل الذى يتفيؤه الرعاة ،
إلى جانب شجيرات العضة ،
وهم يرقبون أغنامهم البريئة ،
أحلى من الظلل المزركشة يستظل بها الملوك
الذين يخشون غدر رعاياهم
أجل إنها لكذلك ، إنها لأحلى منها ألف مرة .
وأخيراً ، أقول إن اللبن المخثّر البسيط ،
وهو الشراب الذى يتناوله من زقه الجلدى .
ونومه المعتاد فى ظل شجرة يهب عليها النسيم ،
يستمتع بهما وهو آمن مستريح ،
لأحلى من لذيذ المأكل الذى ينعم به أمير ،
ومن الخمر تتلألأ فى الكأس الذهبية ،
وإن نوم الراعى لأروح من نوم الأمير فى

فراش وثير ،

إذا ما ترصده الهم والريبة والغدر .

(طبول . يدخل ولد قتل أباه ومعه جثته)

الابن : بئست الريح التى لا يفيد منها أحد .

إن هذا الرجل الذى قتلته فى حرب تقاتلنا فيها فرداً لفرد ،

قد يكون فى صدرته الكثير من المال ،

وأنا الذى قد آخذه منه الآن ،

ربما أسلمت ، قبل أن يجن الليل ، حياتى ،

وأسلمت هذا المال إلى إنسان سواى ،

كما أسلم هذا الرجل لى ماله وحياته .

من هذا ؟ رباه ! إن هذا وجه أبى ،

الذى قتلته فى هذه المعركة على غير علم منى .

إيه أيها الدهر النكد ، الذى يتمخض عن هذه الحادثات .

لقد جئت من لندن طوعاً لأمر الملك ،

وإذ كان أبى من رجال إيرل وريك ،

فقد أتى محارباً فى جيش إيرل يورك طوعاً لأمر مولاه .

وأنا الذى نلت على يديه نعمة الحياة . . . ،
قد سلبته أنا بيدى هاتين حياته .
مغفرة يا رب ، إنى لم أكن أعرف ما فعلت !
ومغفرة يا أبتاه ، فإنى لم أكن أعرفك ،
وإنى لأغسل بدموعى هذه الجروح الدامية ،
وسأمسك عن الكلام حتى تذرف عيناى كل
ما فيهما من دمع .

الملك هنرى : يا لك من منظر بشع ! ويا لك من زمان جرت
فيه الدماء !
فبينا تقاتل الأسد وتحترب دفاعاً عن عرينها ،
نرى الحملان الوديعة المسكينة تتحمل عداءها
وأذاها .
اذرف الدمع أيها الإنسان البائس ، وسأواسيك
دمعة بدمعة ،
وليكن قلبانا وأعيننا فى شبه حرب أهلية ،
تعمى فيها العيون من الدمع ، ويتفطر فيها
قلبانا من شدة الحزن

(يدخل أب قتل ابنه ، وجثته بين ذراعيه)

الأب : أنت يا من كنت تقاومنى مقاومة الأبطال .

هات ما معك من مال ، إن كان لديك مال ،
لأنى ابتعته منك بمائة ضربة .
ولكن لأنظر أولا ! هل هذا وجه عدو لنا !
آه ، لا ، لا ، إنه وجه ولدى الوحيد !
أى بنى ، إن كان لا يزال فيك رمق من حياة ،
فافتح عينك ، وانظر ما تفيض به عيناى من دمع غزير ،
تدفعه العاصفة الهوجاء التى ثارت فى قلبى ،
فيساقط على جروحك ، التى تهلك منى العين والقلب .
أولنا رحمتك يا رب من هذا العصر الملىء بالشقاء !
ألا ما أفظع ما تثيره هذه الحرب فى كل يوم من خدع ومكائد !
وما أفظعها وأشد هولها ، وما أكثر أخطاءها وفتنها ، وقسوتها !
أى بنى ، لقد وهبك أبوك الحياة قبل الأوان .
وسلبها منك منذ زمن وجيز !

الملك هنرى : يا لك من كوارث وأحزان ليس كمثلها أحزان !
ألا ليت موتى يقضى على هذه الفعال الشنعاء !
الرحمة ، الرحمة ، أيتها السموات ، أفيضى
علينا من رحمتك !
إن الوردتين الحمراء والبيضاء كلتيهما على وجهه
وهما شارتا الدمار لبيتينا المتنازعين .
فالأولى يشبهها أشد الشبه دمه القانى ،
والأخرى يمثلها فى ظنى خداه الشاحبان .
ألا فلتذبل واحدة ولتينع الأخرى .
أما إذا تناحرتما ففى التناحر ضياع ألف حياة .
الابن : ترى أى شىء ينالنى من أمى جزاء لى على قتل أبى !
ثم يا ليتها بعدئذ تقنع !
الأب : وأى دمع مدرار تسفكه زوجى لمقتل ابنى !
ثم يا ليتها بعدئذ تقنع !
الملك هنرى : وما أقسى ما تحكم به البلاد على الملك .
من جراء هذه الظروف المحزنة ، ثم يا ليتها تقنع
الابن : هل حزن ابن على موت أب مثل حزنى ؟
الأب : وهل ندب أب ابنه مثل ما ندبت ابنى ؟

الملك هنرى : وهل حزن ملك لمصائب رعاياه مثل حزنى ؟
إن حزنكما لعظيم ، ولكن حزنى عشرة أضعافه .

الابن : سأحملك من هذا المكان ، حيث أبكيك ما وسعنى البكاء . (يخرج بجثة أبيه)

الأب : ستكون ذراعاى هاتان كفنك ،
وسيكون قلبى أى بنى الحبيب جدثك ،
لأن صورتك لن تمحى قط من قلبى ،
وستكون زفراتى المتأججة فى صدرى ناقوس جنازتك ،
وسيرثيك أبوك يا بنى بعد أن فقدك أنت ابنه الوحيد ،
كما رثى بريام [1] جميع أبنائه البواسل .
سأبتعد بك عن هذا المكان ، وليقاتل من يريد القتال ،
فقد قتلت من لا يحل لى أن أقتله . (يخرج بالجثة)

الملك هنرى : يا صاحبى القلب الحزين ، يا من أثقلهما الهم وغلبهما الأسى ،

---

(١) بريام ملك طروادة الذى فقد أبناءه فى القتال .

ها هو ذا ملك أشد منكما حزناً وشقاء .

(طبول ، مناوشات . تدخل الملكة مرجريت ، والأمير وإكستر) .

الأمير : الفرار ، الفرار ، يا أبت ! فقد ولى جميع أصدقائك الأدبار ،
ووريك ثائر كأنه الثور المهتاج .
ابتعد ! فالموت من ورائنا يطاردنا .

الملكة مرجريت : اركب يا مولاى ، وسر مسرعاً نحو بريك .
فإن إدورد ورتشارد من ورائنا كأنهما كلبان من كلاب الصيد ،
يتراءى لهما أرنب خائف مذعور هارب .
تقدح أعينهما الشرر من فرط الغضب .
وفى يديهما المهتاجتين سيفاهما يقطران دماً .

إكستر : فهما يريدان الثأر ، ولا تقف لتناقش ، بل عجل ،
وإلا فاتبعنى : لأنى سأسبقك .

الملك هنرى : بل خذنى معك ، يا إكستر الطيب العزيز ،
وليس ذلك لأنى أخشى البقاء فأموت ،

بل لأنى أريد الذهاب حيث تريد الملكة أن تكون .
هيا . ولنبتعد عن هذا المكان !

الفصل الثانى

المنظر السادس

جزء آخر من ميدان القتال . طبول عالية . يدخل كلفورد جريحاً .

كلفورد : ها هى ذى شمعتى يخبو نورها ، أجل وها هى
ذى تنطفئ
وقد كانت ، وهى ساطعة ، تبعث النور إلى
الملك هنرى .
أى لانكستر ، إنى لأخشى أن تسقط .
أكثر من خشيتى أن تفارق روحى جسدى .
لقد كان حب الناس إياى وخوفهم منى ،
يجمعان كثيراً من الأصدقاء حولك .
والآن وقد أوشكت أن تسقط ، فإن هذا
الجمع القوى يذوب ،
فيفسد الأمر على هنرى ، ويقوى يورك
المتغطرس ،

أما عامة الشعب فيحومون كما يحوم ذباب الصيف . . .
وأين تطير البعوض إلا نحو الشمس ؟
ومن ذا الذى يسطع ضياؤه الآن غير أعداء هنرى ؟
أى فيبوس . لو أنك لم ترض قط
أن يكبح فيتون جماح جيادى الملتهبة النارية
لما أشْعَتْ مركبتك الحارقة وجه الأرض بنارها .
وأنت يا هنرى ، لو أنك حكمت كما يجب أن يحكم الملوك ،
أو كما حكم أبوك ووالد أبيك ،
ولم تسخ بالهبات على بيت يورك ،
لما برزوا كما يبرز ذباب الصيف ،
ولما تركت أنا وعشرة آلاف غيرى فى هذا البلد البائس ،
أرامل يبكين موتنا ،
ولاحتفظت أنت اليوم بعرشك يرفرف عليك علم السلام .
وإلا فأى شىء ينمى النبات الطفيلى غير الريح الرخاء ؟

وأى شىء يزيد من جرأة اللصوص غير الرأفة
واللين ؟
ألا ما أضيع شكاتى . وما أشد استعصاء جراحى
على الشفاء !
فقد سدت فى وجهى سبل الفرار ، وليس
لى قوة تعيننى على الهرب ،
والعدو لا يرحم ولا يعرف قلبه الشفقة .
لأنى لا أستحق منه رحمة ولا شفقة .
لقد نفذ الهواء إلى جراحى القاتلة ،
ونزفت منى الدماء الغزيرة فخارت قواى .
تعال يا يورك . ورتشارد . ووريك ومن معكم ،
لقد طعنت بسنانى صدور آبائكم فهيا مزقوا
صدرى .

(يقع مغشياً عليه)

(طبول ، وتقهقر . يدخل إدورد ، وجورج ، ورتشارد ،
ومنتجو ، ووريك ، وجنود)

إدورد : الآن أيها السادة قفوا نتنفس : إن حظنا الباسم
يدعونا إلى الوقوف ،
لنمحو تجهم القتال بملامح السلام .

وليقتف بعض الجند أثر الملكة المجرمة ،
التى كانت تسيره ، وإن يكن ملكًا ،
كما يسير الشراع ، وقد امتلأ بالريح العاصفة .
السفينة فى البحر لمغالبة الأمواج .
ولكن هل تظنون يا سادة أن كلفورد قد فر معهم ؟

وريك : لا ، إن فراره لمستحيل .
لأن أخاك ، وأنا أقول ما أقول أمامه ،
قد كال له من الضربات ما يواريه لحده .
وأنى يكون هو الآن فلا شك أنه من الأموات .
(كلفورد يئن و يموت)

إدورد : أى روح هذه التى تودع الحياة هذا الوداع الثقيل ؟

رتشارد : إنه أنين الموت ، كأن الحياة والموت ينفصلان ؟

إدورد : تبينوا من هو ، والآن وقد انتهت المعركة ،
فلتشفقوا عليه صديقًا كان أو عدوًا .

رتشارد : ارجع فيما قلت به من رحمة ، لأنه هو كلفورد
فهو حين قتل رتلند لم يقنع
بقطع الغصن حين شرع ينبت ورقه ،

بل عمد إلى سيفه فاجتث به الأصل ،
الذى ينبت منه ذلك الفرع الطيب .
وأنا أعنى بذلك الأصل أبانا الأمير دوق يورك .

وريك : إيتونى من أبواب يورك برأس أبيكم ،
لأن إدورد قد علقه فوقه .
وضعوا هذا الرأس فى مكانه ،
حتى يكون الجزاء من جنس العمل .

إدورد : بل أحضروا هذه البومة الناعقة التى كانت نذير شؤم لبيتنا ،
فهى لم تكن تنطق إلا بالموت لنا ولأبنائنا ،
وسيسكت الموت الآن صوته المحزن المنذر ،
فلن ينطق لسانه بعد الآن بالشر .

وريك : أظنه قد فقد وعيه .
تكلم يا كلفورد ، هل تعرف من الذى يتحدث إليك ؟
إن سحب الموت القاتمة تظلم ضياء حياته ،
فلا يرانا أو يسمع ما نقول .

رتشارد : ألا ليته كان يسمع ويرى ! أو لعله يفعل :
فقد جرى على سنة الخداع والتصنع ،

حتى يتجنب التقريع المرير ، الذى كاله لأبيه وقت موته .

جورج : إن كنت تظن هذا فأثره بأشد الألفاظ سخرية

رتشارد : يا كلفورد ! اطلب الرحمة ، فإنك لن تنال المغفرة .

إدورد : يا كلفورد ! اندم ولن ينفعك الندم .

وريك : اصطنع المعاذير لسيئاتك .

جورج : فى حين نحن ندبر لك العذاب الأليم من جراء آثامك .

رتشارد : لقد كنت تحب يورك ، وأنا ولد يورك

إدوارد : وكنت ترثى لرتلند . وسأرثى أنا لك .

جورج : أين القائد مرجريت ليحميك الآن ؟

وريك : إنهم يسخرون منك يا كلفورد ، فسبهم كما جرت بذلك عادتك .

رتشارد : ما هذا ! ألا تنطق بكلمة سباب واحدة ؟ لعل شرًّا حاق بالعالم

فسكت كلفورد حتى لم يجد لعنة يصبها على رأس أصدقائه .

إن هذا لينبئ أنه مات . قسمًا بحياتى .

لو أن فى مقدور يدى اليمنى أن تطيل حياته ساعتين ،
كى أستطيع أن أشفى غليلى كله بالسخرية منه
إذن لقطعتها بيدى اليسرى ، ولأغرقت بالدم المفتجر منها
ذلك الوغد الذى لم ينقع غليله دم يورك والشاب رتلند .

وريك : نعم ، ولكنه ميت ، فاقطع رأس هذا الخائن ،
وارفعه حيث يوجد رأس أبيك ،
ثم لنذهب إلى لندن نسير سير الظافرين ،
لتتوج ملكاً على إنجلترة ،
ومنها يقطع وريك البحر إلى فرنسا ،
ليطلب يد السيدة بونا ملكة لك ،
فترتبط بذلك البلدين بعضهما ببعض ،
فإذا أصبح ملك فرنسا بهذا الرباط صديقاً لك ،
فإنك لن تخشى عدوك الذى تبدد شمله ،
والذى يأمل أن ينهض مرة أخرى .
وهم ، وإن كانوا أضعف من أن يلحقوا بك أذى كبيراً ،

يتوقعون أن يؤذوا آذانهم بصخبهم .
سأشهد أولا حفلات التتويج ،
ثم أعبر البحر إلى بريتانى لأتمم الزواج ،
إذا شاء ذلك مولاى .

إدورد : ليكن ما تريده ، يا عزيزى وريك ، ليكن هذا
لأنى أقيم ملكى على عاتقك .
ولن أقدم أبداً على عمل ،
إذا لم يكن مؤيداً بنصحاك ورضاك .
وأنت يا رتشارد سأجعلك دوق جلوستر ،
وأنت يا جورج ، دوق كلارنس ،
وأما وريك فسيكون مقامه كمقامنا ،
ينقض من الأمور ويبرم ما يريد .

رتشارد : لأكن أنا دوق كلارنس . وليكن جورج دوق جلوستر .
لأن دوقية جلوستر سيئة الطالع .

وريك : ذلك منك قول أخرق .
فلتكن يا رتشارد دوق جلوستر . والآن هلم إلى لندن .
لنرى هذه المظاهر الشريفة تتحقق .

الفصل الثالث

المنظر الأول

غابة فى شمالى إنجلترة
يدخل حارسان من حراس الصيد و بأيديهما قوسان

الحارس الأول : لنستتر فى هذا المكان ذى الشجر الكثيف ،
لأن الغزلان ستأتى عن قريب إلى هذه الخميلة .
وفى هذا المخبأ نتخذ موقفنا .
لنقتنص خير الغزلان جميعاً .

الحارس الثانى : وسأقف أنا فوق التل ، حتى يطلق كلانا
سهامه .
الحارس الأول : هذا لا يمكن أن يكون ، فإن ما سيحدثه
قوسك من الصوت
سينفر قطيع الغزلان ، و بهذا يذهب سهمى
أدراج الرياح .
إذن فلنقف كلانا فى هذا المكان ، ونطلق
سهامنا على خير الغزلان .
وحتى لا يتسرب إلينا الملل من طول الوقت ،

سأحدثك عما وقع لى فى يوم من الأيام
فى هذا المكان الذى نعتزم الوقوف فيه الآن .

الحارس الثانى : ها هو ذا رجل قادم نحونا ، فلننتظر حتى يمر .

(يدخل الملك هنرى متخفياً وبيده كتاب صلوات)

الملك هنرى : لقد جئت خلسة من أسكتلندة يدفعنى حبى الخالص
لأن أحيى أرضى بنظرات طالما تقت لأن أحييها بها .
كلا يا هنرى ، يا هنرى ، ليست هذه أرضك .
لأن مكانك قد احتله غيرك ، وانتزع صولجانك من يدك .
وأزيل عنك الزيت الذى مسحت به .
ولن يناديك الآن أحد . وهو جاث على ركبتيه « يا قيصر »
ولن يقف ببابك المتوسلون الأذلاء يطلبون إليك النصفة .
وهل أستطيع إنصاف الناس وأنا لا أستطيع أن أنصف نفسى ؟

الحارس الأول : هذا غزال يكفى جلده أجراً لحارس ،

هذا هو الملك السابق ، فلنقبض عليه ،

الملك هنرى : أيتها الشدائد المريرة أقبلى أعانقك ،
فقد قال الحكماء إن عناقك أحكم السبل .

الحارس الثانى : لماذا تطيل الانتظار ، هيا بنا نقبض عليه .

الحارس الأول : اصطبر هنيهة ، حتى نسمع قليلا مما يقول .

الملك هنرى : لقد ذهبت الملكة وذهب ولدى إلى فرنسا
يلتمسان العون ،
ولقد ترامت لى الأنباء بأن وريك القائد العظيم
قد ذهب أيضاً إليها يلتمس من ملك فرنسا
أن يزوج أخته من إدورد . فإذا صح هذا النبأ ،
باءت جهودكما بالخيبة أيتها الملكة المسكينة
وأيها الولد المسكين .
ذلك أن وريك خطيب مصقع حاذق ،
ولويس أمير لا يلبث معسول اللفظ أن يؤثر فيه ،
ولو كان هذا كل ما فى الأمر
لكان فى مقدور مرجريت أن تكسبه ،
فهى امرأة تستدر كثيراً من الرحمة ،
وآهاتها خليقة بأن تمزق صدره ،

ودموعها تنفذ إلى القلب ولو كان قد قدّ من الصخر ،
وإن حزنها لخليق بأن يذلل النمر .
وإن نيرون نفسه ليصيبه الأسى على غير عادته
إذا سمع شكواها وأبصر دمعها الأجاج .
ولكنها جاءت لترجو وتسأل . أما وريك فقد جاء ليعطى .
هى عن يساره تلتمس العون إلى هنرى .
وهو عن يمينه يطلب زوجة لإدورد .
هى تبكى وتقول إن هنرى قد أنزل عن عرشه .
وهو يبتسم ويقول إن إدورد قد ارتقى العرش ،
وهى البائسة المسكينة يمنعها الحزن أن تسترسل فى الكلام ،
أما وريك فينطلق يشرح رسالته ، ويصلح ما فسد ،
ويسوق من الحجج أقواها فيكسب الملك منها آخر الأمر ،
إذ يعده بأن يزوج أخته من إدورد .

وهل ثمة شيء بعد هذا يقوى مركز الملك إدورد
ويثبته .
واهاً لك يا مرجريت ! هذا ماسيكون ،
وستخرجين أيتها المسكينة
منبوذة محسورة كما ذهبت .

الحارس الثانى : قل لى . من أنت يا من تتحدث عن الملوك
والملكات ؟

الملك هنرى : أنا أكبر مما يدل عليه مظهرى . وأقل من
المكانة التى ولدت لها :
أنا رجل فى القليل . لأنى لن أكون أقل
من رجل ،
ومن حق الرجال أن يتحدثوا عن الملوك ، ولم
لا يتحدثون عنهم ؟

الحارس الثانى : ولكنك تتحدث كما لو كنت ملكاً .

الملك هنرى : ولم لا ، وأنا ملك بروحى وهذا حسبى .

الحارس الثانى : إن كنت ملكاً ، فأين تاجك ؟

الملك هنرى : إن تاجى فى قلبى . لا على رأسى .
غير مرصع بالماس ، ولا بجواهر الهند .
ولا تراه العين ، إن تاجى ليسمى القناعة ،

وهى تاج قلما ينعم به الملوك .

الحارس الثانى : وإن كنت تتوجك القناعة والرضى ،
فلترض بأن تسير معنا أنت والقناعة تاجك ،
لأنا نظن أنك الملك الذى خلعه الملك إدورد .
وإذ كنا نحن من رعاياه الذين أقسموا يمين الولاء له ،
فإنا سنقبض عليك بوصفك عدوًّا له .

الملك هنرى : ولكن ألم تقسم يومًا ثم حنثت فى قسمك ؟

الحارس الثانى : لم أقسم مثل هذا القسم ، ولن أقسمه الآن .

الملك هنرى : وأين كنت تقيم حين كنت أنا ملك إنجلترة ؟

الحارس الثانى : هنا فى هذا الإقليم حيث نقيم الآن .

الملك هنرى : لقد توجت ملكًا وأنا فى الشهر التاسع من عمرى ،
وكان أبى وجدى ملكين ،
وأنتما قد أقسمتما أن تكونا من رعاياى المخلصين :
فقولا لى إذن ألم تحنثا فى قسميكما ؟

الحارس الأول : لم نحنث .
فإنا لم نكن من رعاياك إلا حين كنت ملكًا .

الملك هنرى : عجبًا وهل مت ؟ ألست أتنفس كما يتنفس

الرجال ؟
ويلكما أيها الأبلهان ، إنكما لا تعرفان قيمة
أيمانكما .
انظرا ! إننى أنفخ هذه الريشة بعيدة عن
وجهى ،
فيردها الهواء مرة أخرى نحوى .
تسوقها أنفاسى إذا أخرجتها ،
وتطيع أنفاس غيرى إذا هبت عليها ،
مؤتمرة بأقوى الأنفاس على الدوام .
فهكذا أنتم فى طيشكم أيها الدهماء .
ولكن لا تحنثا فى أيمانكما .
لأنى أعيذكما أن ترتكبا هذا الإثم .
بسبب رجائى الرقيق إليكما .
فسيرا حيث شئتما ، وسيطيع الملك أمركما ،
وتكونان أنتما الملكين ، لكما الأمر وعلى الطاعة .
الحارس الأول : إننا من الرعايا المخلصين للملك . الملك إدورد .
الملك هنرى : وستكونان فيما بعد مرة أخرى مخلصين لهنرى .
إذا ما جلس حيث يجلس الآن الملك إدورد
الحارس الأول : نحن نطلب إليك باسم الله واسم الملك .

أن تذهب معنا إلى الضباط .

الملك هنرى : سيرا أمامى باسم الله . ولاسم مليككما الطاعة .
وأيًّا كانت مشيئة الله ، فلينفذها مليككم ،
وأيًّا كانت إرادته ، فأنا خاضع لها ومطيع .

(يخرجون)

الفصل الثالث

المنظر الثانى

لندن — القصر

يدخل الملك إدورد ، ودوق جلوستر ، ودوق كلارنس ، والسيدة جراى

الملك إدورد : أخى دوق جلوستر . لقد قتل سير رتشارد جراى
زوج هذه السيدة فى ميدان سانت أولبنز ،
وصادر المنتصر أملاكه .
وهى تطلب الآن أن ترد لها هذه الأملاك .
ولسنا نستطيع الآن أن ننكر عليها هذا الحق
إذا راعينا العدالة ،
لأن هذا السيد الجليل قد ضحى بحياته ،
وهو يحارب فى صف بيت يورك .

دوق جلوستر : من الخير أن تجيبها يا صاحب الجلالة إلى طلبها ،
لأن من العار أن تنكر ذلك عليها .

الملك إدورد : لن يحدث أقل من هذا ، ولكنى سأتريث قليلا .
دوق جلوستر : (إلى كلارنس على انفراد) هل الأمر كذلك حقاً ؟
أرى أن لدى السيدة ما تستطيع منحه ،
قبل أن يجيب الملك ملتمسها البسيط .
كلارنس : (إلى جلوستر على انفراد) إن الملك لعليم بأساليب الصيد ،
إنه ليعرف حق المعرفة من أين تهب الريح ؟
جلوستر : (إلى كلارنس على انفراد) صه !
الملك إدورد : أيتها الأرملة ، سنبحث شكواك ،
فتعالى فى هذا الوقت لتعرفى قرارنا فيها .
السيدة جراى : مولاى الكريم ، لا أطيق الانتظار ،
فأرجو أن تتفضل جلالتكم فتقضى فى أمرى الآن ،
وأياً كان ما تراه ، فأنا راضية به .
جلوستر : (إلى كلارنس على انفراد) أجل أيتها الأرملة ،
إنى ضامن لك كل أملاكك .
وإذا كان ما يرضيه يرضيك .

فأحسنى القتال ، وإلا فإنك وايم الله سيجللك العار

كلارنس : (إلى جلوستر على انفراد) لست أخشاها إلا إذا سقطت .

جلوستر : (إلى كلارنس على انفراد) لا قدر الله لأنها إن فعلت اغتنم هو هذه الفرصة السانحة .

الملك إدورد : خبريني أيتها الأرملة ، كم عدد أبنائك ؟

كلارنس : (إلى جلوستر على انفراد) أحسب أن سيسألها ولداً .

جلوستر : (إلى كلارنس على انفراد) لو كان ذلك لاستحققت الضرب ، بل إنه يريد أن يهبها اثنين .

السيدة جراى : لى منهم ثلاثة يا سيدى الكريم .

جلوستر : (إلى كلارنس على انفراد) سيكون لك أربعة إن أنت أطعت أمره .

الملك إدورد : لو أنهم فقدوا أرض أبيهم لكان ذلك داعياً للأسف .

السيدة جراى : كن رحيماً بهم إذن ، وأجب سؤالى .

الملك إدورد : أرجو أن تتركونا أيها السادة .
فسأختبر ذكاء هذه السيدة .

جلوستر : (إلى كلارنس على انفراد) لك هــذا الإذن الطيب ،
وسيظل لك حتى يفارقك الشباب ويسلمك إلى عكازك

(ينسحب جلوستر وكلارنس)

الملك إدورد : والآن خبرنى يا سيدتى ، أتحبين أبناءك ؟

السيدة جراى : أنا أحبهم بقدر ما أحب نفسى .

الملك إدورد : ألا تفعلين الشىء الكثير فى سبيل خيرهم ؟

السيدة جراى : إنى على استعداد لأن أتحمل بعض الأذى فى سبيل مصلحتهم .

الملك إدورد : إذن فلتكن لك أملاك زوجك ليسعدوا بها .

السيدة جراى : من أجل هذا جئت إلى جلالتك .

الملك إدورد : سأخبرك كيف تتسعيدين هذه الأرض .

السيدة جراى : بذلك تجعلنى خادمة لك .

الملك إدورد : وأية خدمة تقدمينها لى إذا أعدتها لك ؟

السيدة جراى : ما تأمر به ، وأستطيع أداءه .

الملك إدورد : ولكنك قد ترفضين بعض ما أنا طالبه .

السيدة جراى : لا يا سيدى الكريم ، إلا إذا لم أستطع فعله .

الملك إدورد : بل إنك لتستطعين فعل ما أنا طالبه .

السيدة جراى : إذن فسأفعل ما تأمر به ، يا مولاى .

جلوستر : (إلى كلارنس على انفراد) إنه يشدد النكير عليها ،
وإن المطر الغزير ليذيب صلب الرخـام

كلارنس : (إلى جلوستر على انفراد) إنه يحمل عليها كالنار الملتهبة .
وستذوب صلابتها أمامه كما يذوب الشمع .

السيدة جراى : لم سكت يا مولاى ؟ أليس لى أن أعرف ما يجب على أن أفعله ؟

الملك إدورد : واجب سهل ، لا يزيد على أن تحبى ملكًا .

السيدة جراى : ما أسرع ما أنفذ هذا الأمر ، لأنى من رعاياه .

الملك إدورد : إذن فأنا أعيد لك من فورى أرض زوجك .

السيدة جراى : أستأذن فى الانصراف ولك جزيل الشكر ،

جلوستر : (إلى كلارنس على انفراد) ها قد تمت الصفقة .
وها هى ذى تؤكدها بتحية .

الملك إدورد : ولكن مهلا ، إن الذى أعنيه هو ثمار هذا الحب

السيدة جراى : والذى أعنيه هو ثمار الحب يا مولاى الرحيم .

الملك إدورد : ولكننى أخشى أن يكون بمعنى غير الذى
أقصده .
فأى حب تظنين أنه هو الذى أجهد نفسى فى
طلبه ؟
السيدة جراى : هو حبى إياك حتى الموت ، وهو شكرى
المتواضع ، ودعواتى لك .
هو الحب الذى توحى الفضيلة بطلبه وتستطيع
الفضيلة أن تستجيب إليه .
الملك إدورد : لا ، فى الحق أنى لم أكن أقصد هذا الحب .
السيدة جراى : إذن لم تكن تقصد ما ظننت أنك تقصده .
الملك إدورد : لكنك الآن قد أدركت بعض ما فى ضميرى .
السيدة جراى : إن ضميرى لن يستجيب إلى ما أظن أن جلالتك
ترمى إليه ، إن صح ظنى
الملك إدورد : أصارحك أنى أريد أن أضاجعك .
السيدة جراى : وأصارحك أنى أوثر أن أضطجع فى السجن .
الملك إدورد : إذن فلن ترد إليك أملاك زوجك .
السيدة جراى : إذن فسأستعيض عنها بشرفى ،
لأنى لن أبيع شرفى وأشترى به هذه الأملاك .
الملك إدورد : وبهذا تسيئين إلى بنيك أكبر إساءة .

السيدة جراى : وبهذا تسىء جلالتك إليهم وإلىّ .
ولكن هذه الرغبة الطائشة يا سيدى العظيم .
لا تتفق مع قضيتى المحزنة ،
فأذن لى بالانصراف إما بنعم أو بلا .

الملك إدورد : هى نعم ، إن أجبت عن طلبى بنعم ،
ولا ، إن رددت عليه بلا .

السيدة جراى : إذن هى لا يا مولاى ، وهذا ختام ملتمسى .

جلوستر : (إلى كلارنس على انفراد) إن الأرملة لا تحبه ،
فهى تقطب جبينها وتتجهم فى وجهه .

كلارنس : (إلى جلوستر على انفراد) ما رأيت فى العالم المسيحى مغازلا أغلظ منه .

الملك إدورد : (لنفسه) إن نظراتها لتنم عما يملأ قلبها من حياء
وإن ألفاظها لتدل على أن لها عقلا لا يبارى ،
وكل ما تتصف به من فضائل يفوق كل ما يتصف به الملوك ،
ولا مفر لها من أن تكون لمليك ،
فإما أن تكون عشيقتى ، وإما أن تكون ملكتى .
ما قولك فى أن الملك إدورد يتخذك ملكة له ؟

السيدة جراى : ذلك يا مولاى الكريم شىء قوله خير من فعله .

أنا فرد من رعاياك يصلح لأن تهزأ به .
ولكننى لا أصلح أبداً أن أكون ملكة .

الملك إدورد : أيتها الأرملة الجميلة ، أقسم لك بملكى .
أنى لا أقول أكثر مما يتردد فى نفسى ،
وهو أنى أريد أن أنعم بحبك .

السيدة جراى : وهذا أكثر مما أستطيع الاستجابة له .
فأنا أعرف أنى أحقر من أن أكون ملكتك ،
ولكنى مع ذلك أشرف من أن أكون خليلتك .

الملك إدورد : إنك تحاورين أيتها الأرملة ؛ لقد قصدت
بحق أن تكونى ملكتى .

السيدة جراى : سيسىء إلى جلالتك أن يدعوك أبنائى أباً .

الملك إدورد : لن يسىء ذلك إلى أكثر مما يسيئك حين
يدعوك بناتى أماً ؛
إنك أرملة ولك بعض الأبناء .
وأقسم بالله أن لى ، وأنا الرجل العزب ،
أبناء آخرين ،
وما أسعدنى أن أكون أباً لكثيرين من الأبناء .
فلا تردى على بعدئذ ، لأنك ستكونين ملكتى .

جلوستر : (إلى كلارنس على انفراد) لقد فرغ الأب الروحى من استغفاره .

كلارنس : (إلى جلوستر على انفراد) لم يكن ، وهو يستغفر ، إلا متحايلا مخادعاً .

الملك إدورد : أيها الأخوان ، لعلكما تحدسان ما دار بيننا نحن الاثنين من حديث .

جلوستر : إن الأرملة لا يرضيها الأمر ، لأنها تبدو جد حزينة

الملك إدورد : أظنكم تعجبون إذا اتخذتها زوجة .

كلارنس : لمن يا مولاى ؟

الملك إدورد : لم تعجب يا كلارنس ؟ زوجة لى .

جلوستر : ستكون هذه أعجوبة يتندر بها الناس عشرة أيام فى القليل .

كلارنس : تلك فترة أطول بيوم مما تدوم الأعاجيب .

جلوستر : وبقدر هذا تكون غرابة الحادث .

الملك إدورد : فلنسخرا يا أخوى ما شئتما ، ففى وسعى أن أخبركما كليكما ،

أننى أجبتها إلى ما طلبته من استعادة أرض زوجها

(يدخل أحد النبلاء)

النبيل : مولاى يا صاحب الجلالة ! لقد ألقى القبض
على عدوكم هنرى ،
وجىء به سجيناً إلى باب قصركم .

الملك إدورد : مروا أن ينقل إلى البرج .
وهيا بنا يا أخوى نذهب إلى الرجل الذى أسره ،
لنسأله كيف تم القبض عليه .
وأنت أيتها الأرملة ، اذهبى فى سبيلك ،
وأكرموها أيها السادة .

(يخرجون جميعاً ما عدا جلوستر)

جلوستر : نعم إن إدورد يحسن معاملة النساء .
ألا ليته يفنى ، بأعصابه وعظامه ، وكل ما فيه ؛
حتى لا يبقى له أمل فى أن يخرج من صلبه فرع ،
يحول بينى وبين الفرصة الذهبية التى أتطلع إليها !
لكن بينى وبين ما تشتهيه نفسى —
وهو اللقب الذى أبغيه إن مات إدورد —
كلارنس ، وهنرى ، وابنه الصغير إدورد ،

وكل من لا يزالون فى ذمة المستقبل من أبنائهم ،
يخلفونهم قبل أن أتربع أنا على العرش .
ذلك تفكير فى أغراضى يقض مضجعى ويبعث
اليأس فى نفسى !
وإذن فلست إلا حالماً بالملك ،
مثلى كمثل الواقف على ربوة ناتئة فى البحر ،
يبصر شاطئاً بعيداً لا يستطيع أن يطأه بقدميه ،
ويتمنى لو أن قدمه كانت فى قوة بصره .
ثم تراه يلوم البحر الذى يفصله عن المكان الذى
يبتغيه ،
ويزعم أنه سيخفف ماءه كى يبلغ بذلك غايته .
وتلك هى حالى إذ أطمع فى التاج . وأنا بعيد
عنه كل البعد ،
فأكيل اللوم إلى الأسباب التى تحول بينه وبينى ،
وأقول إننى سأقطع تلك الأسباب .
وأعلل النفس بأنى سأفعل المستحيل .
إن عينى لتتطلع إلى أبعد مما أستطيع .
وإن قلبى ليطمع طمع المتكبر المتغطرس .
إلا إذا كان فى مقدور يدى وقوتى أن تجارياهما.

في هذا التطلع وذلك الطموح .
فلنفترض إذن أن رتشارد خسر ملكه ،
فأي نعيم غير هذا يمكن أن تجود على به الدنيا ؟
سأجعل مستقرى فى أحضان سيدة .
وأزين جسدى بأبهى الثياب .
وأسبي الحسان بألفاظى ونظراتى .
ألا ما أسخف هذا الخيال ، وإن تحقيقه
لأبعد منالا من عشرين من التيجان .
لقد أصبحت طريد الحب وأنا جنين فى أحشاء أمى ،
ولكيلا يكون لى شأن بأساليبه الرقيقة ،
عدا على طبيعتى الضعيفة فأفسدها ،
فشلّ ذراعى كأنها غصن شجرة ذابل ،
ووضع على ظهرى شبه جبل شامخ ،
فاستقر عليه التشويه ليجعل من جسمي
أضحوكته ، وجعل ساقى مختلفتى الحجم ،
حتى تكون كل أغصائى غير متناسبة ،
فكنت كأنى كتلة من مادة غير ذات شكل ،
أو كأنى دَيْسَمُ دبّ لم تلعقه أمه لأنه لم يكن

ثمة شبه بينها وبينه [1] .
فهل أكون بعد هذا إنساناً له حظ من الحب ؟
ألا ما أشد خطئى إن دار بخلدى مثل هذا
الظن !

وإذا كان العالم لم يهبنى ما أستمتع به ،
إلا أن آمر وأنهى ، وأخضع لنفسى من هم
أحسن منظراً منى ،
فلأجعلن نعيمى أن أحلم بالتاج .
وأن أنظر . ما دمت حياً ، إلى هذه الأرض
كأنما هى الجحيم ،
حتى يستقر على هذا الجسد المشوه .
الذى يحمل هذا الرأس ، تاج مجيد .
غير أنى لا أعرف بعد كيف أنال التاج .
لأن كثيراً من الأحياء يحولون بينى وبين ما أبغى ،
فصرت كأنى إنسان ضل السبيل فى غابة مليئة
بالشوك ،

---

(١) ذلك اعتقاد قديم .

لا عمل له إلا أن يقطع الأشواك وأن تقطعه الأشواك .
ليبصر الطريق أمامه ، ولكنه يضل الطريق ،
ولا يعرف كيف يصل إلى المكان الفسيح ،
ولكنه يظل يكدح جاهداً كي يعثر عليه .
ذلك هو شأنى أعذب نفسى كى أستحوذ على التاج البريطانى .
فإما أن أخلص نفسى من العذاب من تلك اللحظة ،
أو فلأشق طريقى بالسيف يقطر دماً .
إن فى مقدورى أن أبتسم ، وأن أقتل حين أبتسم ،
وأقول إننى راض عما يجزع له قلبى ،
وأبلل وجنتى بالدموع المصطنعة ،
وأغير ملامح وجهى بما يتفق مع كل الظروف
سوف أغرق من الملاحين أكثر ممن ستغرقهم شواطئ البحار ،
وسأهلك ممن ينظرون إلىّ أكثر ممن يهلكهم

« الباسليق »[1] .

سأكون خطيباً كنسطور ،
وأخدع بمكرى أكثر ممن يستطيع أن يخدعهم أولسيز
وأفوز بطروادة أخرى ، كما فاز بهذه سينون ؛
وأتلون أكثر مما تتلون الحرباء ،
وأبدل صورتى كما بدلها بروتيوس لأحصل على ما أريد ،
وأكون أنا المعلم ومكيفلى السفاح هو التلميذ .
أفأستطيع أن أفعل هذا كله ثم أعجز عن الحصول على التاج ؟
تبًّا لى ! إن لم أقتلعه وإن كان أعز مما هو منالا .

---

(١) حيوان خرافى يقال إنه يقتل من ينظر إليه (المترجم) .

الفصل الثالث

المنظر الثالث

فرنسا — قصر الملك

طبول: يدخل لويس ملك فرنسا وأخته بونا ، وأمير بحريته المسمى بوربون ، والأمير إدورد والملكة مرجريت ، وإيرل أكسفورد . يجلس الملك لويس ثم ينهض قائماً .

الملك لويس : أى ملكة إنجلترة الحسناء ، يا مرجريت النبيلة ،
اجلسى معنا ، فإنه لا يليق بمقامك العظيم ،
ولا بمولدك ، أن تظلى واقفة بينما يجلس لويس .
الملكة مرجريت : لا يا ملك فرنسا العظيم ، إن على مرجريت الآن
أن تطوى شراعها ، وأن تتعلم فى هذه الأيام أن تكون هى الخادمة ،
حيث يأمر الملوك ، نعم إننى لا بد لى أن أعترف
أنى كنت ملكة إنجلترة العظيمة فى الأيام المجيدة السالفة ،
ولكن الحظ العاثر قد وطئ لقبى هذا بقدميه

وألقى بى على الأرض ذليلة مهينة ،
ولابد لى أن أجلس حيث يضعنى حظى ،
وأن أرضى بمجلسى الحقير هذا .

الملك لويس : ماذا جرى أيتها الملكة الحسناء ، خبرينى عن منشأ هذا اليأس العميق .

الملكةمرجريت : إن منشأه أمر تفيض من أجله عيناى بالدموع ، ويعقل لسانى ، ويغرق صدرى فى الهموم .

الملك لويس : مهما يكن هذا السبب ، فاحتفظى على الدوام بمقامك ،
واتخذى مجالسك إلى جانبنا (يجلسها بجانبه)
ولا تسلمى عنقك
لنير الحظ ، بل اجعلى عقلك الذى لا يقهر
يتغلب دائماً على كل المصائب ويخرج ظافراً منها .
أفصحى عما بك أيتها الملكة مرجريت ،
وخبرينى عن سبب حزنك ،
وسوف نخففه إن كان فى وسع ملك فرنسا أن يمدك بالعون .

الملكة مرجريت : إن هذه العبارات الكريمة لتنعش أفكارى الحزينة ،
وتطلق لسانى الذى عقدته الأحزان ، فيقوى على الكلام .
إذن ، فلتعلم الآن يا لويس النبيل .
أن هنرى ، الذى يملك وحده قلبى ،
قد أصبح رجلا منفياً وقد كان من قبل ملكاً ،
واضطر أن يعيش فى أسكتلندة يائساً وحيداً ،
على حين أن إدورد دوق يورك المتكبر الطموح ،
قد اغتصب لقب ملك إنجلترة الشرعى ،
وعرشه الذى ارتفع إليه بحق .
هذا هو السبب الذى جئت من أجله .
أنا مرجريت البائسة المسكينة
مع ولدى هذا الأمير إدورد ولى عهد هنرى ،
ألتمس منك المعونة المشروعة العادلة ،
فإن لم نظفر بها منك ضاعت آمالنا كلها .
ذلك أن أسكتلندة تريد أن تعيننا ، ولكنها عاجزة عن ذلك العون
وأما شعبنا وأعيان بلادنا فقد خدعوا وضللوا ،

ونهبت أموالنا، وولى جنودنا الأدبار .
ونحن كما ترانا فى حال يرثى لها .
الملك لويس : أيتها الملكة ، يا ذات الشهرة العظيمة ،
هدئى هذه الثورة النفسية بالصبر
حتى ندبر وسيلة للخروج منها ،
الملكة مرجريت : كلما طال انتظارنا ، ازداد عدونا قوة .
الملك لويس : بل كلما تريثت ازداد ما أقدمه لك من عون .
الملكة مرجريت : ولكن نفاد الصبر يصحبه الأسى الحق .
وها هو ذا مصدر أحزانى مقبل علينا .
(يدخل وريك)
الملك لويس : من ذا الذى يأتى بهذه الجرأة إلى حضرتنا ؟
الملكة مرجريت : إنه إيرل وريك ، أعظم أصدقاء إدورد .
الملك لويس : مرحبًا بك يا وريك الشجاع ! ما الذى جاء بك إلى فرنسا ؟
(ينزل عن مقعده وتقوم هى)
الملكة مرجريت : وها هى ذى عاصفة ثانية توشك أن تثور ،
لأن هذا هو الذى يثير الرياح ويدفع الأمواج .
وريك : إنى قادم من عند إدورد العظيم ، ملك ألبيون ،
سيدى ومولاى ، وصديقك الحميم ،

تحدونى المودة الخالصة ، والحب الذى لا رياء فيه ،
لأحيى أولا شخصكم الملكى ،
ثم ألتمس بعدئذ معاهدة ود وصداقة ؛
ولأؤكد أخيراً هذه الصداقة بعقدة زواج ،
إذا تفضلتم فسمحتم بزواج أختكم الحسناء ،
السيدة بونا الفاضلة زواجاً شرعياً من ملك إنجلترة .

الملكة مرجريت : (لنفسها) إن تم هذا الأمر فقد خاب رجاء هنرى .

وريك : (إلى بونا) وأنت يا سيدتى العظيمة ، لقد أمرت أن أنوب عن مليكنا
إن تفضلت فأذنت . بأن أقبل يدك فى خضوع ،
وأن أعبر بلسانى عما يضطرم فى قلب مولاى من لواعج الشوق .
فقد ترامت إلى أذنيه الواعيتين أنباء جمالك وفضلك .
فارتسمت فى قلبه صورتك .

الملكة مرجريت : أيها الملك لويس ، وأنت أيتها السيدة بونا ، استمعا إليّ
قبل أن تردا الجواب على وريك . إن طلبه هذا
ليس صادراً عن حب شريف يبغيه إدورد بإخلاص ،
بل مبعثه الخديعة تحتمها الضرورة ،
إذ كيف يستطيع الطغاة أن يحكموا فى بلادهم وهم آمنون ،
إلا إذا استعانوا على ذلك بأحلاف قوية
يبتاعونها من خارج بلادهم ؟
وحسبنا دليلا على أنه طاغية ظالم أن هنرى لا يزال حيًّا ،
وحتى لو أنه كان ميتًا . فها هو ذا الأمير إدورد
واقف معنا ، وهو ابن الملك هنرى .
فاحذر إذن يا لويس أن تجر على نفسك الخطر والعار ،
بهذا الحلف وذاك الزواج .
فالمغتصبون قد ينعمون بالسلطان إلى حين ،

ولكن الله عادل والأيام كفيلة بقمع المظالم .

وريك : إنك تهينيننا بذلك يا مرجريت .

الأمير : ولم لا تقول يا ملكة ؟

وريك : لأن أباك هنرى مغتصب ،
وليس حقك فى أن تلقب أميراً خيراً من حقها فى أن تلقب ملكة

أكسفورد : إذن فوريك ينكر حق چون جونت العظيم ،
الذى أخضع الجزء الأكبر من إسبانيا ،
ثم ينكر بعد چون جونت ، هنرى الرابع ،
الذى كانت حكمته ضوءاً يهتدى به أحكم الناس
وينكر بعد ذلك هنرى الخامس ، ذلك الأمير الحكيم ،
الذى فتح ببسالته بلاد فرنسا كلها .
من هؤلاء ينحدر نسب هنرى .

وريك : كيف فاتك فى هذا الحديث اللين .
أن تذكر أن هنرى السادس قد أضاع كل ما كسبه هنرى الخامس ؟
وأحسب أن نبلاء فرنسا هؤلاء سيبتسمون حين

يسمعون قولك هذا .

أما ما بقى من حديثك ، فإنك قد ذكرت فيه سلسلة من النسب ،

تمتد إلى اثنتين وستين سنة ، وهى فترة من الزمان

أصغر من أن تثبت حقًّا فى ملك .

أكسفورد : أتستطيع يا وريك أن تغتاب مليكك .

الذى دنت له بالطاعة ستة وثلاثين عامًا ،

ثم لا يعلوك الخجل حين تكشف عن غدرك ؟

وريك : أيستطيع أكسفورد . وقد كان على الدوام نصيراً للحق ،

أن يظاهر الباطل بسلسلة من النسب ؟

يا للعار ! دعك من هنرى . وناد بإدورد ملكًا .

أكسفورد : أأنادى به ملكًا ، وهو الذى كان أمره الظالم

سببًا فى مقتل أخى الأكبر لورد إيراى قير

وأكثر من هذا أليس هو الذى أمر بقتل أبى ،

وهو شيخ طاعن فى السن يساق بطبيعته إلى أبواب الموت ؟

لا يا وريك ، لا . ما دام فىّ نسمة من الحياة

أرفع بها ذراعي هذه .
فإن هذه الذراع ستنصر بيت لانكستر .

وريك : أما أنا فسأنصر بيت يورك .

الملك لويس : أيتها الملكة مرجريت وأنتما يا أمير إدورد .
ويا إيرل أكسفورد
تفضلوا ! أرجوكم أن تتفضلوا بالتنحى جانباً
حتى أتحدث إلى وريك .
(يبتعدون فى ناحية)

الملكةمرجريت : أسأل الله ألا يفتتن بسحر كلمات وريك .

الملك لويس : أستحلفك يا وريك بذمتك وضميرك . هل إدورد
مليككم بحق ؟
لأنى لا أحب أن أرتبط بمن لم يصل إلى الملك
بالطريق المشروع ؟

وريك : إنى أضمن ذلك بسمعتى وشرفى .

الملك لويس : ولكن هل يرتضيه الشعب ؟

وريك : إن حظ هنرى العاثر ليزيد فى رضاء الشعب عنه .

الملك لويس : وبعد هذا ، أدعوك أن تخلع ثوب الرياء ،
وتخبرنى صادقاً عن مبلغ حبه لأختنا بونا .

وريك : إن حبه إياها ليبدو بالقدر الذى يليق بمليك

مثله أن يحب ،
فكثيراً ما سمعته أنا نفسى يقول ويقسم ،
إن حبه إياها كشجرة باقية إلى أبد الدهر ،
أصلها ثابت فى أرض ترويها الفضيلة ،
وفروعها وثمرها يزدهران فى شمس الجمال ،
لا يمكن أن يتسرب إلى حبه كره لبونا ،
ولكنه لا ينجو من ازدراء الناس ،
إلا إذا ارتضته فأبعدت عنه الآلام .

الملك لويس : والآن يا أختى فلنسمع منك ما استقر عليه رأيك .

بونا : رأيى هو رأيك ، سواء أجبت أو رفضت.
(إلى وريك) على أننى أعترف بأننى كنت قبل اليوم ،
إذا سمعت محاسن مليكك يتردد ذكرها على الألسنة ،
تغرينى أذناى بأن أجعل عقلى أسير هواى .

الملك لويس : إذن يا وريك فهذ إقرارى : ستكون أختنا زوجاً لإدورد .
وهيا بنا لساعتنا نعد الشروط .

الخاصة بالمهر الذى يجب أن يقدمه ملككم فى مقابل بائنتها .
ادنى منى ، أيتهـــا الملكة مرجريت ، وكونى شاهدة ،
على أن بونا ستكون زوجة لملك إنجلترة .

الأمير : لإدورد ، لا لملك إنجلترة .

الملكة مرجريت : ويلك يا وريك ! أيها الخادع ، لقد استطعت بحيلتك
أن تحبط بهذا الرباط ملتمسى .
فلقد كان لويس ، قبل قدومك ، صديقاً لهنرى .

الملك لويس : وما زال صديقاً له ولمرجريت :
غير أنه إذا كان حقكما فى التاج ضعيفاً ،
كما يتبين لنا من نجاح إدورد الباهر ،
فإن من الحكمة أن أعفى من تقديم العون
الذى وعدت به من زمن قريب .
ومع هذا فستلقين منى كل الرعاية .
التى تليق بمنزلتك ، ويمكننى مركزى من تقديمها لك .

وريك : إن هنرى يعيش الآن فى أسكتلنده وادعًا ،
لا يمكن أن يفقد شيئًا ، لأنه لا يملك قط شيئًا .
أما أنت يا مليكتنا السابقة .
فإن لك أبًا يستطيع أن يكفلك .
وكان خيراً لك أن تذهبى إليه فتضايقيه ،
بدل أن تضايقى ملك فرنسا .

الملكة مرجريت : أمسك لسانك يا وريك ، أيها الوقح عديم الحياء .
أمسك لسانك أيها المتغطرس ،
يا من ترفع الملوك وتثل عروشهم !
لن أبرح هذا المكان حتى أظهر للملك لويس بحديثى ودموعى ، وكلاهما صادق أعظم الصدق ،
زيفك الماكر ، وحب مولاك الكاذب .
فكلاكما فى هذا وذاك سواء .

(رسول ينفخ فى بوق فى الداخل)

الملك لويس : هذا رسول يريدك أو يريدنا

(يدخل الرسول)

الرسول : سيدى السفير ، هذه الرسائل لك ،

بعثها أخوك ، المركيز منتجيو :
وهذه من مليكنا لك يا صاحب الجلالة .
وتلك يا سيدتي لك ، ولست أعرف مرسلها .
(يقرءون رسائلهم)

أكسفورد : يسرني كل السرور أن أرى ملكتنا الحسناء وسيدتنا
تبتسم حين تقرأ أخبارها ، بينما يتجهم وريك حين يقرأ رسائله .

الأمير : وانظروا ، كيف يضرب لويس الأرض بقدميه كأنه مغيظ محنق
وإني لأرجو أن يكون في ذلك الخير لنا .

الملك لويس : ما أخبارك يا وريك ؟ وما أخبارك أيتها الملكة الحسناء ؟

الملكة مرجريت : أما أخباري فمن النوع الذي يملأ قلبي سروراً لم أكن أتوقعه .

وريك : وأما أخباري فمليئة بالأحزان ، وتفعم القلب سخطاً .

الملك لويس : ماذا فيها ؟ هل تزوج مليككم السيدة جراي ؟
ويريد الآن أن يعمل بما يتفق مع خداعك وخداعه ،

فيبعث لى بهذه الورقة يحثنى فيها على الانتظار ؟
أهذا هو الحلف الذى يسعى لعقده مع ملك فرنسا ؟
أتبلغ به القحة أن يستهزئ بنا بهذه الطريقة ؟

الملكةمرجريت : لقد قلت لجلالتك هذا كله من قبل ؛
وإن فى هذا لدليلا على حب إدورد وشرف وريك .

وريك : أيها الملك لويس ، إنى أعلن هنا ، والله شهيد على ما أقول ،
وبحق ما لى من أمل فى رحمة الله ،
أننى برىء من هذه الفعلة الشنعاء التى فعلها إدورد ،
وأنه لن يكون لى ملكًا بعد اليوم ، لأنه أخزانى وأضاع شرفى ،
ولكنه ينضح بما فيه . إن استطاع أن يرى ما فى عمله من حقارة .
وهل أنسى أن أبى قد لاقى منيته ، ولما يحن أجله
فى سبيل بيت يورك ؟
وهل أستطيع أن أغفل عما لقيته ابنة أخى من سوء على أيديهم ؟

ألست أنا الذى وضعت على مفرقه التاج الملكى ؟
ألست أنا الذى انتزعت من هنرى حقه الشرعى ؟
وهل يكون جزائى أن ألطخ آخر الأمر بالعار ؟
كلا ، فليسربله هو العار ! أما أنا فإنى خليق بالشرف .
وهأنذا أسترد الشرف الذى أضعته فى سبيله ،
فأخرج عليه فى هذا المكان ، وأعود إلى صف هنرى ،
أى مليكتى النبيلة ، تناسى أحقاد الماضى ،
واعلمى أننى منذ اليوم خادمك الأمين ،
وسأثأر منه لما ارتكبه فى حق السيدة بونا ،
وأرد هنرى إلى مكانته الأولى ،

الملكة مرجريت : لقد بدلت هذه الألفاظ بغضى لك حبًّا ،
وإنى لأعفو عن أخطائك السابقة وأنساها ،
وأغتبط أن تصبح من أصدقاء الملك هنرى .

وريك : نعم من أحب أصدقائه ، صديق له فى غير رياء ،
فإذا تفضل الملك لويس فأمدنا بكتائب قليلة من صفوة الجنود ،
فسأقوم أنا بإنزالهم على شاطئ بلادنا ،

وأشنها حرباً أنزل بها هذا الطاغية عن عرشه ،
ولن تنجيه عروسه الجديدة من مصيره .
وأما كلارنس فأكبر الظن أنه سيخرج عليه ،
كما تدل على ذلك رسائلى ،
لأنه آثر الشهوات الدنيئة على الشرف ،
وعلى قوة البلاد وسلامتها ،

بونا : أيها الأخ العزيز ، كيف تنتقم لبونا
إلا بتقديم العون إلى هذه الملكة المحزونة ؟

الملكة مرجريت : أيها الأمير العظيم ، كيف يعيش هنرى المسكين
دون أن تنقذه من يأسه الأليم ؟

بونا : إن معركتى ومعركة هذه الملكة الإنجليزية واحدة .

وريك : وإن معركتى يا سيدة بونا الحسناء لهى أيضاً معركتك .

الملك لويس : ومعركتى ، معركتها ، ومعركتك ، ومعركة الملكة مرجريت .
ومن أجل هذا فقد صح عزمى آخر الأمر
على أن أقدم لكم العون .

الملكة مرجريت : اسمح لى بأن أقدم لكم جميعاً شكرى المتواضع .

الملك لويس : إذن فعد يا رسول إنجلترة مسرعًا ،
وبلغ إدورد الخئون ، مليكك المزعوم ،
أن لويس ملك فرنسا مرسل له جماعة من المهرجين (١)
ليعبثوا معه ومع عروسه الجديدة .
ولقد رأيت ما حدث ، فعد واقذف الرعب به في قلب مليكك .

بونا : بلغه رجائى أنى فى انتظار ترمله عن قريب ،
وأنى سأرتدى من أجله ملابس الحداد .

الملكة مرجريت : وقل له إنى خلعت ملابس الحداد .
وإنى أستعد لأن أرتدى دروع القتال .

وريك : وقل له عنى إنه قد أساء إلىّ .
ولذلك فإننى عما قريب سأنزع التاج عن رأسه ،
ذلك ما سوف أجزيه به : اذهب .

الملك لويس : وأنت يا وريك ، اعبر أنت وأكسفورد البحار ،
ومعكما خمسة آلاف من الرجال .
وادعوا إدورد الخائن إلى القتال .

---

(١) يقول لويس هذه العبارة بسخرية ويقصد بها أنه سيرسل له جنداً ليحاربوه .

وستتبعكما هذه الملكة النبيلة ،
إذا ما حانت الفرصة ، بمدد جديد .
ولكنى أطلب إليك قبل أن تغادر هذه البلاد ،
أن تفصح لى عن أمر يثير فى نفسى بعض الشكوك ،
أى شىء يضمن لنا صدق ولائك الأكيد ؟

وريك : إن الذى يؤكد ولائى الدائم ،
هو أن أربط ابنتى الكبرى وقرة عينى
وهذا الأمير الشاب ، برباط الزواج المقدس ،
إذا ارتضت ذلك مليكتنا وارتضاه الأمير .

الملكة مرجريت : نعم أرتضيه ، وأشكر لك اقتراحك هذا .
اعلم يا ولدى إدورد ، أنها جميلة عفيفة ،
فعجل إذن ، ومد يدك إلى وريك ،
وقدم مع يدك عهدك الذى لا يتزعزع ،
بألا تكون لك زوجة غير ابنة وريك .

الأمير : نعم إنى أرتضيها زوجة لى ، فهى خليقة بهذا القران .
وها هى ذى يدى أوثق بها قسمى .
(يضع يده فى يد وريك)

لويس : فيم التريث الآن ؟ يجب أن نعبئ أولئك الجنود ،
وعليك أنت يا سيد بوربون ، يا أمير بحريتنا
العظيم ،
أن تنقلهم على ظهر أسطولنا الملكى .
وإنى لأتوق لرؤية إدورد يسقط ،
بعد أن يبوء بالخسران فى ميدان القتال .
(يخرجون جميعاً ما عدا وريك)

: لقد جئت إلى هنا سفيراً لإدورد ،
ولكنى أعود وأنا له من ألد الخصوم ،
لقد كان أمر الزواج مطلبه الذى عهد إلى به ،
ولكن الحرب العوان ستكون الجواب على
ما طلب .
ألم يجد غيرى ليتخذه سخرية له ؟
إذن فلن يجد إنساناً غيرى يجعل سخريته نكالا
عليه .
لقد كنت الزعيم الذى رفعه إلى العرش ،
وسأكون الزعيم الذى ينزله عنه .
وليس ذلك لأنى أرثى لبؤس هنرى .
بل لأنى أسعى لأثأر لنفسى من سخرية إدورد .

الفصل الرابع

المنظر الأول

لندن — القصر

يدخل جلوستر ، وكلارنس ، وسمرست ، ومنتجيو .

جلوستر : قل لى يا أخى كلارنس ، ماذا ترى
في هذا الزواج الجديد من السيدة جراى ،
ألم يحسن أخونا الاختيار ؟

كلارنس : واأسفاه ! إنك لتعرف ما بيننا وبين فرنسا ،
وهل كان يستطيع الانتظار حتى يعود وريك ؟

سمرست : أيها السادة ، دعكم من هذا الحديث ،
فالملك مقبل عليكم .

جلوستر : ومعه عروسه التى أحسن اختيارها .

كلارنس : إن فى نيتى أن أصارحه برأيى .

(طبول : يدخل الملك إدورد تحف به حاشيته ، والسيدة جراى
فى زى الملكة وبمبروك واستفورد ، وهيستنجس ، وغيرهم)

الملك إدورد : والآن يا أخى كلارنس ، ما رأيك فى اختيارنا
هذا ؟

وما لى أراك واجماً كأنك غير راض كل الرضا عنه ؟

كلارنس : مثلى كمثل لويس ملك فرنسا أو إيرل وريك ،
اللذين سيمنعهما جبنهما وضعف عزيمتهما
من أن يغضبا لهذه الإهانة .

الملك إدورد : وهب أنهما غضبا دون أن يكون ثمة سبب يبرر هذا الغضب ،
فليسا هما أكثر من لويس ومن وريك
أما أنا فإدورد مليككم .
وملك وريك ، وسيكون لى ما أريد .

جلوستر : وسيكون لك حتماً ما تريد ، لأنك مليكنا ،
ولكن التسرع فى الزواج قلما يعقبه الخير .

الملك إدورد : وأنت يا أخى رتشارد : أأنت أيضاً ساخط ؟

جلوستر : لا ، لست ساخطاً ، وحاشا أن أتمنى الفرقة
بين من جمع الله بينهما ، والحق أن التفرقة بين
من يعيشان مثلكما فى وئام
لتكونن إذا حدثت أمراً يؤسف له .

الملك إدورد : فإذا ما غضضنا النظر عن سخريتك وكراهيتك .

فقل هل لديك من سبب يحول بين السيدة جراى
وبين أن تكون زوجاً لى وملكة على إنجلترة ؟
وأنت يا سمرست ، وأنت يا منتجيو ،
أفصحا عن رأيكما بكامل حريتكما .
كلارنس : ما دام الأمر كذلك فها هو ذا رأيى :
إن الملك لويس سيصبح عدواً لك
لأنك سخرت منه
فى أمر زواجك من السيدة بونا
جلوستر : ووريك وهو يؤدى المهمة التى عهدت إليه ،
لقد جللته العار بهذا الزواج الجديد .
الملك إدورد : وماذا ترون إذا استرضيت لويس ووريك
بما أستطيع أن أدبره من حيل ؟
منتجيو : ولكن الارتباط مع فرنسا بهذا الحلف .
كان كفيلا بأن يقوى دولتنا .
ويجعلها أقدر مما هى على مغالبة العواصف الأجنبية ،
أكثر مما يقويها زواج من إحدى الأسر الإنجليزية .
هيستنجس : ما هذا ؟ ألا يعرف منتجيو أن إنجلترة نفسها
آمنة ، إذا أخلص لها بنوها .

منتجيو : ولكنها تكون أكثر أمنًا إذا ظاهرتها فرنسا .

هيستنجس : خير لنا أن نستفيد من فرنسا أكثر من أن نثق بها ،
فلنستمد العون من الله ومن البحار ،
التى جعلها لنا حصنًا لا يرام .
ولنستعن بهذه البحار دون غيرها على الدفاع عن أنفسنا ،
فإن فيها وفى أنفسنا سلامتنا .

كلارنس : إن هذه العبارة وحدها تكفى لأن تجعل لورد هيستنجس
خليقًا بأن يكون وارث لورد هنجر فورد .

الملك إدورد : نعم ، وماذا ترون ؟ لقد كنت أنتوى أن أمنحه هذا اللقب .
فلتكن إرادتى فى هذه المرة هى القانون .

جلوستر : ولكنى أظن أن جلالتك لم تحسن صنعًا .
حين زوجت ابنة لورد إسكيلز ووريثته ،
بأخى عروستكم المحبوبة
فلقد كنت أنا أو كلارنس أجدر بها منه ،
ولكنك فى سبيل عروسك تنكر الأخوة .

كلارنس : ولولا ذلك لما أنعمت بوريثة لورد بنقيل
على ابن زوجتك الجديدة ،
وتركت أخويك يطلبان لهما زوجين فى أمكنة أخرى .

الملك إدورد : وا أسفاه ! أى كلارنس المسكين ! أمن أجل الزوجة
أنت غاضب ؟ سأجد لك طلبتك .

كلارنس : لقد أظهرت حكمتك فى اختيار زوجتك ،
وما دمت قد أثبت بذلك ضعف هذه الحكمة .
فإنى أستأذنك فى أن أسعى أنا لنفسى .
ومن أجل هذا فقد اعتزمت عما قليل أن أفارقك .

الملك إدورد : سيكون إدورد ملكًا سواء رحلت أو أقمت .
ولن يكون مقيداً بإرادة أخيه .

الملكة إلزبث : سادتى ، لا بد لكم أن تنصفونى ، وأن تقروا
بأنى قبل أن يتفضل جلالة الملك فيرفع منزلتى
إلى مقام الملكية لم أكن من أصل وضيع .
ولقد نال مثل هذا الحظ من كان أقل منى مكانة ،
وإذا كان هذا اللقب يشرفنى ويشرف أهلى ،

فإن كراهيتكم ، التى أساءكم فيها ،
تعكر صفو مسراتى بما تغشيها به من خطر وحزن .

الملك إدورد : حبيبتى . لا تتذللى لهم حين يعبسون :
فأى خطر أو أى حزن يمكن أن يصيبك ،
ما دام إدورد صديقك الوفى ،
ومولاك الحق ، الذى يجب عليهم أن يطيعوه ،
أجل الذى لا بد لهم أن يطيعوه ، وأن يحبوك أيضًا .
إلا إذا كانوا يسعون بأنفسهم لكراهيتى .
فإن فعلوا ، فسأدفع أذاهم عنك وأحميك .
وسيشعرون هم بوطأة انتقامى وغضبى .

جلوستر : إنى سامع ، ولن أقول إلا القليل ،
ولكنى سأفعل الشىء الكثير .

(يدخل رسول)

الملك إدورد : ماذا عندك أيها الرسول من رسائل أو من أخبار جئت بها من فرنسا .

الرسول : مولاى الملك ، ليس معى رسائل ، وما معى من الكلمات قليل .

ولكنها كلمات لا أجرؤ على النطق بها
إلا إذا نلت منكم الأمان .

الملك إدورد : هاتها ولك منا الأمان . وعليك أن تحدثنا فى إيجاز
عما قالوه لك ، أقرب ما تستطيع أن تتذكره من عباراتهم .
بماذا أجاب الملك لويس عن رسائلى ؟

الرسول : تلك هى الكلمات التى قالها لى ساعة رحيلى :
« عد وبلغ إدوارد الخئون مليكك المزعوم ،
أن لويس ملك فرنسا مرسل له جماعة من المهرجين
ليعبثوا معه ومع عروسه الجديدة » .

الملك إدورد : وهل يبلغ لويس هذا الحد من الجرأة ؟ لعله يظننى هنرى .
ولكن ماذا قالت السيدة بونا عن زواجى ؟

الرسول : ها هى ذى ألفاظها بنصها ، نطقت بها بقليل من الازدراء :
« قل له إنى فى انتظار ترمله عن قريب ،
وإنى سأرتدى من أجله ملابس الحداد » .

الملك إدورد : لست ألومها ، فلم يكن فى وسعها أن تقول أقل من هذا ،
فهى التى أصابها الضرر . ولكن ماذا قالت ملكة هنرى ؟
فقد سمعت أنها كانت هى نفسها هناك .

الرسول : لقد قالت : « قل له عنى إنى خلعت ملابس الحداد .
وإنى أستعد لأن ارتدى دروع القتال » .

الملك إدورد : أظنها تعتزم أن تلعب دور الأمزونات [١] :
ولكن ماذا قال وريك فى هذه الإهانات ؟

الرسول : لقد كان غضبه من جلالتكم أشد من غضب سائر الحاضرين
وقد صرفنى بهذه الألفاظ :
« قل له عنى إنه قد أساء إلى ،
ولذلك فإنى عما قريب سأنزع التاج عن رأسه » .

الملك إدورد : ها ! وهل يجرؤ الخائن على التفوه بهذه الألفاظ المتغطرسة ؟

---

(١) الأمزونات فى الأساطير اليونانية جيل من النساء المحاربات (المترجم) .

إذن . فلأستعدن بالسلاح . بعد أن جاءتنى
النذر :
فلأقذفنهم بالحروب . وسيجزون على غطرستهم
شر الجزاء
ولكن لى نى : هل تصالح وريك مع مرجريت ؟

الرسول : نعم . يا مولاى الكريم . لقد توثقت الصداقة
حتى إن الأمير إدورد الشاب سيتزوج ابنة وريك .

كلارنس : لعلها الكبرى ، فسيتزوج كلارنس بالصغرى
وداعاً الآن يا أخى الملك ، اثبت على عرشك ،
وأنا ذاهب من هنا إلى ابنة وريك الأخرى .
فإنى . وإن لم يكن لى ملك ، سأبرهن على أننى
لست أقل منك ،
فاتبعونى يا من تحبوننى وتحبون وريك .
(يخرج كلارنس ومن ورائه سمرست) .

جلوستر : (لنفسه) أما أنا فلا . لأن أفكارى تحوم
حول مسألة أخرى .
فأنا باق هنا ، لا حباً فى إدورد ، بل حباً فى
التاج .

الملك إدورد : لقد انضم كلارنس وسمرست كلاهما إلى وريك ،

ولكنى مسلح ومتأهب لملاقاة أسوأ ما يكون .
غير أن البدار واجب فى هذه الأزمة الخطيرة .
اذهبا يا بمبروك ويا ستفورد بالنيابة عنا
فاحشدا الجند ، وأعدا العدة للقتال .
فسينزلون عما قايل بشواطئنا إن لم يكونوا قد نزلوا بها فعلا ،
وسأتبعكم أنا نفسى على الفور .
(يخرج بمبروك وستفورد)
ولكنى أطلب إليكما يا هيستنجس ، ويا بمبروك
أن تطمئنانى عن بعض ما أرتاب فيه ، فأنتما دون غيركما ،
ترتبطان مع يورك برباط القرابة والمصاهرة :
فقولا لى هل تحبان وريك أكثر مما تحبانى ؟
فإن كان الأمر كذلك ، فاذهبا كلا كما إليه ،
فلخير لى أن تكونا عدوين من أن تكونا صديقين مرائيين .
أما إن كنتما تريدان أن تظلا على ولائكما الصادق لى ،
فأكدا لى هذا بيمين المحبة ،

حتى لا تداخلنى فى ولائكما ريبة .

منتجيو : فليكن الله فى عون منتجيو بقدر ما يثبته من إخلاص !

هيستنجس : وليكن فى عون هيستنجس بقدر ما ينتصر لقضية إدورد

الملك إدورد : والآن . يا أخى رتشارد هل تقف إلى جانبنا ؟

رتشارد : أجل ، وبالرغم مما لا بد أن يواجهك من صعاب .

الملك إدورد : إذا كان هذا فأنا إذن واثق من النصر .

فهلموا بنا إذن ، ولا تضيعوا شيئاً من الوقت

حتى نلاقى وريك وجيشه الأجنبى .

(يخرجون)

الفصل الرابع

المنظر الثانى

سهل فى وركشير

يدخل وريك وأكسفورد ومعهما جنود فرنسيون

وريك : ثق يا مولاى أن الأمور كلها تسير على أذلالها ،
وأن الشعب يهرع إلينا زرافات ووحدانا .

(يدخل كلارنس وسمرست)

ولكن انظر ، ها هو ذا كلارنس ، وها هو ذا
سمرست مقبلان !
تكلما أيها السيدان من فوركما ، هل نحن
كلنا أصدقاء ؟

كلارنس : لا تشك فى هذا يا سيدى ، ولا تخشنا .

وريك : إذن فمرحبًا يا كلارنس النبيل عند وريك
ومرحبًا بك يا سمرست ، لكننى أرى أن من
الجبن
أن أظل مرتاباً فى رجل ذى قلب نبيل ،
يمد يداً صادقة دليلا على الحب الأكيد .

لقد كان يراودنى الشك فى أن كلارنس ، أخا إدورد ،
لم يكن إلا صديقًا مداجيًا ، يتظاهر بالموافقة على ما نفعل .
أما الآن فمرحبًا بك يا عزيزى كلارنس ،
وستكون ابنتى زوجة لك .
والآن لم يبق إلا أن نفاجئ أخاك ونتخذه أسيراً على مهلنا ،
مستترين بستار الليل ، وأخوك معسكر فى غير حذر .
وجنوده متفرقون فى البلدة ،
وليس معه إلا حرس قليل .
ولقد وجد عيوننا أن الأمر جد يسير :
فكما أن أولسيز وديوميدى الباسل ،
قد تسللا بالحيلة والشجاعة إلى خيام ريسوس ،
واستوليا منها على جياد تراقية المرعبة القاتلة[1] ،

(١) وردت قصة جياد تراقية فى الكتاب العاشر من إلياذه هوميروس . وخلاصتها أن المتنبئة فى مهبط الوحى كانت قد أعلنت أن طروادة لن تسقط فى أيدى اليونان إذا استطاعت جياد ريسوس أن تشرب من نهر إكسانتوس وترعى فى سهول طروادة . ولهذا أرسل اليونان ديوميدى وأولسيز (الرجولة والدهاء) ليقطعا الطريق على أمير تراقية وهو آت بالعون إلى بريام ملك طروادة . فقتلاه ليلة وصوله واستوليا على الجياد (المترجم) .

فليكن هذا شأننا نحن . سوف نتخذ من سواد الليل دريئة لنا ،
ونفاجئ حرس إدورد ونكيل له الضربات ،
ثم نقبض عليه ، ولا أقول نقتله ،
لأنى لا أريد إلا أن آخذه على حين غفلة منه ،
وأنتم يا من تعتزمون السير معى فى هذه المغامرة ،
اهتفوا باسم هنرى مع قائدكم !
(يهتفون جميعاً قائلين « هنرى » !)
إذن فلنتخذ سبيلنا ملتزمين الصمت .
وليكن الله والقديس جورج فى عون وريك وأصدقائه !

(يخرجون)

الفصل الرابع

المنظر الثالث

معسكر إدورد بالقرب من وريك

يدخل ثلاثة من الحراس يحرسون خيمة الملك

الحارس الأول : هلمّ ، يا سادة ، وليتخذ كل منا مكانه !
فالملك الآن قد جلس (١) لينام .

الحارس الثانى : ماذا تقول ! ألن ينام فى الفراش ؟

الحارس الأول : كلا ، فلقد أقسم أغلظ الأيمان ،
ألا يرقد ويستريح الراحة الطبيعية .
حتى يُقضى على وريك أو عليه قضاء لا مرد له .

الحارس الثانى : أكبر الظن إذن أن موعدنا غداً ،
إذا كان وريك قريبًا منا بالقدر الذى يتناقله الجنود .

الحارس الثالث : ولكنى أرجوك أن تخبرنى ، من هذا النبيل
الذى يقيم هنا مع الملك فى خيمته ؟

---

(١) كلمة جلس هنا مقصودة بالذات ، كما يدل على ذلك السياق (المترجم) .

الحارس الأول : إنه لورد هيستنجس ، أصدق أصدقاء الملك .

الحارس الثالث : آه ، أحق هذا ؟ ولكن لماذا يأمر الملك ،
بأن ينام أعظم أنصاره فى البلدان المحيطة به ،
فى حين يظل هو فى ساحة القتال معرضاً للبرد ؟

الحارس الثانى : إن هذا أدعى إلى الشرف ، لأن هذا المكان
أشد خطراً عليه !

الحارس الثالث : ولكن أنلنى أنا الراحة والمكانة العليا والهدوء ،
فذلك أحب إلى من الشرف مع التعرض للخطر ،
ولو أن وريك قد علم بحال الملك هذه ،
لخشينا أن يصل إليه فيوقظه .

الحارس الأول : وهو لا شك فاعل إلا إذا سدت عليه حرابنا
الطريق .

الحارس الثانى : نعم ، ولأى شىء إذن نحرس خيمته الملكية ،
إلا لكى ندفع عن شخصه أى عدو يأتيه
بالليل ؟

(يدخل وريك ، وكلارنس ، واكسفورد ، وسمرست ، ومعهم
جنود) .

وريك : هذه خيمته ، وها هم أولاء حراسه واقفون .
الشجاعة يا سادة ! فالمجد الآن وإلا فلا مجد أبداً !

فما عليكم إلا أن تتبعونى . فيقع إدورد فى أيدينا .

الحارس الأول : من هناك ؟

الحارس الثانى : مكانك ، وإلا مت .

(وريك ومن معه ينادون جميعاً : « وريك ، وريك ! »
ويهجمون على الحراس ،
فيفر هؤلاء وهم يصيحون : « إلى السلاح ! إلى السلاح ! »
ويتعقبهم وريك ومن معه)

(يدق طبل ، وينفخ فى النفير ، ويعود وريك ، وسمرست ،
وبقية رجالهما ، ويخرجون بالملك فى ثياب النوم وهو جالس
على كرسيه . ويفر جلوستر ، وهيستنجس فوق المسرح)

سمرست : من هذان اللذان يفران عن بعد .

وريك : هما رتشارد وهيستنجس ، دعوهما يذهبا .
ها هو ذا الدوق .

الملك إدورد : الدوق ! كيف هذا يا وريك ، لقد دعوتنى حين
افترقنا ملكاً !

وريك : نعم ، ولكن الموقف قد تبدل :
فلما أن أخزيتنى فى سفارتى .
نزلت عن مكانة الملك .
وجئت الآن لأجعلك دوق يورك .
يا أسفا ! كيف تستطيع أن تسوس ملكاً ،

إذا لم تكن تعرف كيف تعامل السفراء .
أو كيف تقنع بزوجة واحدة .
أو كيف تعامل إخوتك كما يجب أن يعامل الإخوة ،
أو كيف تعنى بمصالح الشعب .
أو كيف تقى نفسك من الأعداء ؟

الملك إدورد : أى أخى إيرل كلارنس ، أأنت هنا أيضًا ؟
إذن ، أرى أن إدورد لا بد له أن يسقط .
ولكن اعلم يا وريك أن إدورد سيحتفظ على الدوام بكرامة الملوك ،
رغم ما يحل به من النكبات .
وعلى الرغم منك ومن كل من اشتركوا معك فى تدبيرك .
ومهما أصابنى الحظ الحقود فى منزلتى ،
فإن عقلى أبعد من أن يطأه بعجلته .

وريك : إذن هل يستطيع عقل إدورد أن يجعله ملك إنجلترة ؟

(يخلع عنه التاج)

سيلبس هنرى الآن التاج الإنجليزى ،

وسيكون ملكاً بحق، ولن تكون أنت إلا خيالاً وظلا.
أى سيدى لورد سمرست ، مرهم بناء على طلبى
أن ينقلوا الدوق إدورد من فوره
إلى حيث يوجد أخى ، كبير أساقفة يورك ،
حتى إذا ما فرغت من قتال بمبروك وأتباعه ،
جئت فى إثرك ، وأبلغته الجواب الذى بعثه
إليه الملك لويس .

والذى بعثته إليه السيدة بونا .
والآن أودعك إلى حين يا دوق يورك الكريم .

الملك إدورد : إن الذى تقضى به الأقدار لا بد أن يستسلم له الرجال ،
فلا جدوى من مقاومة الريح والموج معاً .
(يخرجونه بالقوة)

أكسفورد : لم يبق أمامنا الآن أيها السادة
إلا أن نزحف بجنودنا على لندن ،

وريك : أجل ، هذا أول ما يجب علينا أن نفعله :
أن نطلق الملك هنرى من الأسر ،
ونجلسه على سرير الملك .

الفصل الرابع

المنظر الرابع

لندن — القصر

تدخل الملكة إلزبث ورڤرس

رڤرس : سيدتى، ما بالك تغيرت هذا التغير المفاجئ ؟

الملكة إلزبث : أتسألنى عن هذا يا أخى رڤرس ؟
ألم تعلم بعد أى كارثة حلت بالملك إدورد ؟

رڤرس : ماذا أصابه ؟ أخسر معركة حامية ضد يورك ؟

الملكة إلزبث : كلا ، بل خسر شخصه الملكى .

رڤرس : إذن هل قتل سيدى ؟

الملكة إلزبث : نعم ، كأن قد قتل ، فقد سيق أسيراً ،
إما بخيانة من حرسه ،
و إما أن عدوه قد باغته فأخذه على حين غفلة .
وقد عهد به حديثاً ، كما علمت ،
إلى حراسة أسقف يورك
أخى وريك اللعين ، وعدونا من ثمّ .

رڤرس : تلك أنباء تبعث أشد الحزن بلاريب .
ولكن لا بد لك يا سيدتى الجليلة أن تصبرى عليها ما وسعك الصبر ،
فقد يهزم وريك ، وإن كان قد فاز الآن بالنصر .

الملكة إلزبث : وإلى أن يحدث هذا ، فإن الأمل الجميل لا بد أن يؤخر خسران الحياة
وخليق بى أن أباعد ما بينى وبين اليأس .
حباً منى فى ابن إدورد الذى أحمله فى أحشائى
وهذا هو الذى يجعلنى أكبح جماح أحزانى .
وأتحمل فى أناة حظى العاثر ؛
أجل ، أجل ، فى سبيل هذا أسترد كثيراً من العبرات ،
وأكتم الزفرات التى تجيش فى صدرى وتمتص دمى .
كيلا أحرق بزفراتى ، أو أغرق بدمعى ،
ثمرة الملك إدورد ووارث تاج إنجلترا بحق .

رڤرس : ولكن يا سيدتى ماذا آل إليه أمر وريك ؟

الملكة إلزبث : لقد بلغنى أنه متجه إلى لندن .
ليضع التاج مرة أخرى على رأس هنرى .

ولتحدس أنت ما بقى ، فسوف يسقط جميع أصدقاء الملك إدورد لا محالة .
ولكنى سأحول بين هذا الغاشم وعنفه —
لأن الإنسان لا يصح له أن يثق بمن يخون عهده مرة —
بأن أذهب من فورى إلى الدير ،
لكى أنقذ فى القليل وريث حقوق إدورد .
ففيه سوف أكون آمنة من العنف والخديعة .
فتعال إذن ، ولنفر حين نستطيع الفرار :
لأنا سنلقى منيتنا بلا ريب ، إذا لحقنا وريك .
(يخرجان)

الفصل الرابع

المنظر الخامس

حديقة قرب قلعة مدهام فى يوركشير

يدخل جلوستر ، ولورد هيستنجس ، وسير وليم ستانلى : وغيرهم

جلوستر : والآن يا لورد هيستنجس ويا سير وليم ستانلى ،
ليس لكما أن تعجبا من السبب الذى من أجله-
جئت بكما إلى هنا ،
إلى هذه البقعة المتكاثفة الأشجار فى الحديقة ،
فها كما حقيقة المسألة : إنكما لتعلمان أن أخى الملك
سجين هنا عند الأسقف . وأنه يلقى على يديه
معاملة طيبة ، ويتمتع بحرية واسعة ،
وكثيراً ما يأتى إلى هذه الناحية ليصطاد ويسرى
عن نفسه ،
ولا يصحبه إلا حرس ضعيف .
ولقد أبلغته بطريقة سرية .
أنه إذا جاء إلى هذا المكان حوالى هذه الساعة ،

متظاهراً بأنه جاء يبغى صيده المعتاد ،
فسيجد هنا أصدقاءه ومعهم جواد ورجال ،
ليطلقوه من أسره .

(يدخل الملك إدورد ومعه صائد)

الصائد : من هنا يا مولاى ، لأن هنا يكون الصيد .

الملك إدورد : لا بل من هنا ، يا رجل ، انظر أين يقف الصائدون .
والآن يا أخى جلوستر ، ويا لورد هيستنجس ومن معكما ،
أتقفون هنا متجاورين لتسرقوا غزلان الأسقف ؟

جلوستر : إن ظروف الوقت والحالة التى نحن عليها لتدعونا إلى الإسراع ،
فجوادك واقف فى انتظارك عند ركن الحديقة .

الملك إدورد : ولكن إلى أين نذهب بعدئذ ؟

هيستنجس : إلى ثغر لن [1] يا مولاى .
ومن ثم نعبر إلى البحر إلى فلاندرز .

جلوستر : صدقنى ، إن صدق ظنى فذلك ما كنت أقصده .

الملك إدورد : سوف أكافئك يا ستانلى على جرأتك .

---

(١) ثغر Lynn ومنه سيعبر البحر إلى فلاندرز .

جلوستر : ولكن ، فيم التريث ؟ وليس هذا وقت الكلام .

الملك إدورد : وما قولك أيها الصائد ؟ هل تذهب معنا ؟

الصائد : خير لى أن أفعل هذا . من آن أبقى وأشنق .

جلوستر : تعال إذن ، هيا ، ولا حاجة إلى المزيد من الكلام .

الملك إدورد : وداعًا يا أسقف ، اتق غضب وريك
وادع لى ربك أن أستعيد التاج .

(يخرجون)

الفصل الرابع

المنظر السادس

لندن — البرج

يدخل الملك هنرى ، وكلارنس ، وورريك ، وسمرست ، والشاب رتشمند ، وأكسفورد ، ومنجيو ، وقائد الحصن .

الملك هنرى : أيها السيد القائد ، والآن وقد زحزح الله وأصدقائى
إدورد عن سرير الملك ،
وبدلنى من أسرى حرية ،
ومن خوفى آمالا ، ومن حزنى فرحـًا ،
فإنى أسألك بعد أن نلت حريتى ماذا يكون
جزاؤك الحق ؟

القائد : ليس للرعية أن يطلبوا شيئـًا من ملوكهم ،
ولكن إذا كان للضراعة الذليلة جدوى ،
فإنى إذن ألتمس الصفح من جلالتكم .

الملك هنرى : عن أى شىء تطلب الصفح أيها القائد ؟
عن حسن معاملتك إياى ؟
لا . بل ثق أنى سأجزيك على حسن صنيعك ،

لأنه جعل من سجنى متعة ،
أى نعم ، متعة كالتى يهفو إليها الطير السجين ،
إذا ما أنساه تغريده الشجى فى قفصه ،
بعد أن طال تفكيره الحزين فى أمره .
ما خسره من حريته .
ولكنك أنت يا وريك ، الذى وهبت لى بعد الله حريتى ؛
ولهذا فإنى أوجه الشكر لله ولك .
فقد كان هو سبحانه مسبب الأسباب . وكنت أنت أداة تنفيذها .
وإذ كنت أرغب فى أن أتغلب على ما يضمره لى سوء حظى من أحقاد ،
بأن أعيش متواضعاً متخلياً عن مظاهر العظمة ،
فآمن بذلك من أذى حظى العاثر .
وأن يأمن أهل هذا البلد المبارك ،
أن ينزل بهم الشر بسبب نحس طالعى ،
فإنى يا وريك أعلن فى هذا المكان نزولى عن الحكم لك ،
وإن كان رأسى لا يزال يحمل التاج ،

لأن التوفيق يحالفك فى كل أعمالك .

وريك : لقد اشتهرتم يا صاحب الجلالة بالفضل طول حياتكم ،
والآن ، تُظهر أن حكمتك لا تقل عن فضلك ،
فقد فطنت إلى ما يضمر لك الحظ من أحقاد ،
وعملت على تجنبها ،
فقل من الناس من يستطيع أن يكيف نفسه لحقد الأقدار ،
ولكنى أستسمحك فأعتب على جلالتك هذا الفعل دون غيره ؛
لأنك اخترتنى لهذه المهمة . على حين أن كلارنس حاضر هنا بنفسه .

كلارنس : لا ، يا وريك ، إنك خليق بهذا السلطان ،
لأن الله قد وهبك حين مولدك
غصن الزيتون وإكليل الغار ،
لتكون مباركًا فى السلم والحرب على السواء ،
ولهذا فإن لك منى رضائى الصادق .

وريك : وأنا أختار كلارنس وحده حاميًا للمملكة .

الملك هنرى : مد إلىّ يا وريك وأنت يا كلارنس يديكما ،

وليمسك كل منكما بيد صاحبه . وضما إلى اليدين قلبيكما ،
حتى لا يعطل الخلاف بينكما شئون الحكم .
وهأنذا أعينكما حاميين لهذا البلد ،
حين أخلد إلى حياة العزلة ،
وأقضى آخر أيامى فى العبادة .
نادمًا على آثامى ومسبحًا بحمد خالقى .

وريك : ماذا يقول كلارنس فيما يريده مليكه ؟

كلارنس : إنه راض ، إذا رضى به وريك .
لأنى أربط حظى بحظك .

وريك : إذن فحتم على ، وإن كنت كارهًا ، أن أقبل ،
وسنكون رفيقين ، كأننا ظل مزدوج
لجسم هنرى ، نشغل مكانه ،
أقصد أننا سنشغله فى تحمل أعباء الحكم ،
على حين يستمتع هو بالشرف وبهناءته .
والآن يا كلارنس ، إن من ألزم الأعمال لدينا
أن نعلن من فورنا أن إدورد خائن ،
وأن نصادر أرضه وسائر أملاكه .

كلارنس : أجل ، وماذا بعد ذلك ؟ إن علينا أن نقرر أمر وراثة العرش .

وريك : نعم ، وفى هذا لن يعود كلارنس صفر اليدين .

الملك هنرى : أجل ، ولكنى أرجوكما أن يكون أول ما تقومان به من أعمالكما الخطيرة ،
وأقول أرجوكما ، لأنى لم يعد لى حق فى أن آمر ،
أن ترسلا فى طلب مرجريت ملكتكما وابنى إدورد ،
كى يعودا من فرنسا على جناح السرعة ،
لأن سرورى بحريتى سيغشيه بعض التغشية
ما ينتابنى من خوف وريبة ، حتى أراهما هنا .

كلارنس : سنفعل هذا يا مولاى من فورنا .

الملك هنرى : من هذا الشاب ، يا لورد سمرست ، الذى يبدو أنك ترعاه أحسن رعاية ؟

سمرست : مولاى ، إنه الشاب هنرى ، إيرل رتشمند .

الملك هنرى : تعال هنا ، يا أمل إنجلترا .

(يضع يده على رأسه)

فإن تكن القوات الخفية
تصدق فيما توحى به إلى أفكارى التى تنفذ فى

طيات المستقبل ،
فإن هذا الصبي الوسيم . سيكون نعمة على هذه البلاد .
ذلك أن ملامحه تنم عن الجلال الهادئ ،
وأن رأسه قد سوته الطبيعة ليلبس التاج ،
ويده قد خلقت لتقبض على الصولجان ،
وفى ظنى أن شخصه سيبارك العرش الملكى .
ليكن موضع رعايتكم أيها السادة .
لأنكم ستنالون على يديه من الخير
أكثر مما نالكم على يدى من الأذى .

(يدخل رسول)

وريك : ما وراءك من الأخبار يا صاح ؟
الرسول : لقد أفلت إدورد من عند أخيك .
وفر ، كما علم بعد فراره ، إلى برجندى .
وريك : ما أسوأ هذا النبأ ! ولكن قل لى كيف استطاع الهرب ؟
الرسول : لقد هربه رتشارد دوق جلوستر ولورد هيستنجس
اللذان انتظراه فى كمين خفى على جانب الغابة ،
فأنجياه من صيادى الأسقف ،

لأن الصيد كان رياضته اليومية .

وريك : لقد أهمل أخى كل الإهمال فى حراسته ،
ولكن لنخرج من هنا يا مولاى ؛
لنهيئ علاجاً لكل ما عساه يحدث من شرور

(يخرجون جميعاً ما عدا سمرست ، ورتشمند ، وأكسفورد)

سمرست : يا سيدى ، لست مرتاحاً لهروب إدورد هذا ،
لأنى لا أشك فى أن برجندى ستقدم له العون ،
ولن يمضى كثير من الوقت حتى نواجه الحرب
من جديد .
وكما أن قلبى قد ابتهج من نبوءة هنرى الأخيرة .
بما بعثه فى من آمال فى هذا الشاب رتشمند ،
فإن قلبى الآن يتوجس خيفة مما عساه أن
يصيبه
ويصيبنا من أذى فى هذه الحروب .
ولهذا فإنى أشير عليك يا لورد أكسفورد ،
أن نبعث به من فورنا إلى بريتانى .
حتى تسكن عواصف هذه الفتنة الأهلية .

أكسفورد : أجل ، فإنه إذا استرد إدورد التاج .

فأكبر الظن أن رتشمند وكل من عداه سيذوقون
الوبال .

سمرست : فلنفعل هذا ، ولنذهب إلى بريتانى
هيا بنا إذن ، ولندبر الأمر على عجل .

الفصل الرابع

المنظر السابع

أمام يورك

طبول — يدخل الملك إدورد ، وجلوستر ، وهيستنجس ، وجنود

الملك إدورد : والآن يا أخى رتشارد ، ويا لورد هيستنجس ،
ويا بقية من معى ،
إن الأقدار تصلح الآن ما أفسدته من أمرنا ،
وكأنها تقول مرة أخرى إنى سأستبدل تاج
هنرى الملكى ،
بما كان لى من منزلة عصفت بها الأيام .
لقد عبرنا البحار ، ثم عدنا الآن فعبرناها مرة
أخرى .
وجئنا من برجندى بما كنا نرغب فيه من عون .
وما ذا بقى علينا ، وقد وصلنا من مرفأ رافنزبيرج
أمام أبواب يورك ،
إلا أن ندخلها كأنا ندخل فى دوقيتنا ؟

جلوستر : إن الأبواب موصدة ؟ وهذا مالا أحب ،
فإن تعثر الكثيرين عند مداخل المدن ،
ينذر بما فى داخلها من الأخطار .

الملك إدورد : صمتاً ، يا رجل ! يجب ألا تخيفنا هذه الهواجس ،
ولا بد أن ندخل المدينة بخير الوسائل أو أسوئها .
لأن أصدقاءنا سيوافوننا إليها .

هيستنجس : مولاى ، سأدق الباب مرة أخرى لأدعوهم

(يظهر على الأسوار عمدة يورك ، وإخوانه)

العمدة : أيها السادة ، لقد نبئنا قبل الآن بمقدمكم ،
فأوصدنا الأبواب لنحمى بذلك أنفسنا ،
لأننا الآن ندين بالولاء إلى هنرى .

الملك إدورد : ولكن ألا تعلم يا سيدى العمدة أنه إذا كان هنرى ملكاً
فإن إدورد ، فى القليل ، دوق يورك .

العمدة : هذا حق يا سيدى العظيم ، فلست أعرف أنك أقل من هذا

الملك إدورد : نعم ، ولست أطالب إلا بدوقيتى ،
فأنا راض ولا أبغى سواها .

جلوستر : (لنفسه) ولكن الثعلب لا يكاد يزج بأنفه في موضع .
حتى يجد من فوره وسيلة يدخل بها جسمه .

هيستنجس : ماذا ترى ، يا سيدى العمدة ، وإلام هذا التردد ؟
افتح الأبواب ، فنحن أصدقاء الملك هنرى .

العمدة : أجل ، أتقولون هذا ؟ إذن فستفتح الأبواب .
(ينزلون عن الأسوار) .

جلوستر : يا له من قائد حكيم ، شجاع ، وما أسرع ما تأثر واقتنع !

هيستنجس : إن هذا الشيخ قد ظن أن الأمور كلها تجرى على أذلالها !
ولهذا لم يتطلب إقناعه وقتاً طويلا ، أما إذا دخلنا المدينة ،
فلست أشك فى أننا لن يطول بنا الوقت حتى نقنعه
هو وإخوانه أن يستمعوا إلى صوت العقل .
(يدخل الملك واثنان من شيوخ المدينة ، بعد أن نزلوا عن الأسوار) .

الملك إدورد : ياسيدى العمدة : يجب ألا توصد هذه الأبواب
إلا أثناء الليل أو فى وقت الحرب .
ما هذا ! لا تخف أيها الرجل ، وأعطنى المفاتيح
(يأخذ المفاتيح)
فإن إدورد سيدافع عن المدينة وعنك ،
وعن كل أولئك الأصدقاء الذين يحبون أن يتبعونى .

(زحف يدخل منتجمرى وقوات عسكرية) .

جلوستر : أخى ، هذا سير جون منتجمرى صديقنا الوفى ،
إن لم أكن مخدوعاً فى ظنى .
الملك إدورد : مرحباً بك ، يا سير چون ! ولكن لم جئت شاكى السلاح ؟
منتجمرى : لأقدم العون إلى الملك إدورد فى أيام محنته ،
كما يجب أن يقدمه إليه كل رجل وفى مخلص من رعاياه .
الملك إدورد : شكراً لك يا منتجمرى النبيل ، ولكننا الآن
لا نذكر حقنا فى التاج ، ولا نطلب إلا دوقيتنا ،
حتى يأذن الله بالباقى .

منتجمرى : إذن أستودعك الله ، وإنى لعائد من حيث أتيت ،
فقد جئت لأخدم ملكًا ، لا دوقًا .
يا حامل الطبل دق طبلك ، ودعنا نغادر ذلك المكان

(يدق الطبل ويبدأ السير)

الملك إدورد : بل تريث يا سير جون قليلا ، ودعنا نتبادل الرأى
فى أسلم السبل التى نسترد بها التاج .

منتجمرى : ما هذا ! أتتحدث عن تبادل الرأى : إنى أقولها كلمة لا أكثر :
إن لم تناد بنفسك ملكًا فى هذا المكان ،
فإنى تاركك لما تأتيك به الأقدار ،
وسأرحل لأرد من يأتون لنجدتك .
ولأى سبب نقاتل ، إذا لم تطالب أنت بالملك ؟

جلوستر : ما هذا يا أخى ، ولماذا تتمسك بهذه الأمور التى لا غناء فيها ؟

الملك إدورد : سوف نطالب بحقنا ، حين نزداد قوة ،
وإلى أن يحين ذلك الوقت ، فإن من الحكمة

أن نستر مقاصدنا .

هيستنجس : ألا بعداً لهذه الحكمة المتزمتة ! فليكن السيف الآن هو الفيصل .

جلوستر : إن أسرع الناس إلى لبس التاج هو أشدهم بأساً وأبعدهم عن الخوف .

أخى ، سننادى بك ملكاً من فورنا .

فإن هذا الخبر وحده سيأتيك بالكثير من الأصدقاء .

الملك إدورد : إذن فليكن ما تريدون ، فإن هذا حقى ،

وليس هنرى إلا مغتصباً للتاج .

منتجمرى : أجل ، إن مولاى الآن يتكلم بما هو خليق به ،

والآن سأكون نصيراً لإدورد .

(يعطيه ورقة و يدق الطبل)

الجنود : إدورد الرابع ، بنعمة الله ،

ملك إنجلترة وفرنسا . وسيد إيرلندا . . . إلخ .

منتجمرى : ومن يعارض حق الملك إدورد .

فإنى بهذا أتحداه ، وأدعوه إلى البراز .

(يلقى قفازه)

الجميع : ليحيا الملك إدورد الرابع !

الملك إدورد : شكراً لك يا منتجمرى الباسل ، وشكراً لكم جميعاً :

لئن حالفنى الحظ لأجزينكم على حسن صنيعكم .
والآن ، لنقض الليلة هنا فى يورك .
حتى إذا ما أشرقت شمس الصباح ،
وعلت فوق هذا الأفق :
فسنزحف للقاء وريك وصحبه ،
فأنا أعلم علم اليقين أن هنرى ليس بالجندى المحارب .
وويل لك يا كلارنس الأحمق ،
إنها لكبيرة منك أن تمالئ هنرى وتترك أخاك !
أما وقد فعلت ، فسنلقاك أنت ووريك .
هلموا بنا أيها الجنود البسلاء ، ولا يخامرنكم شك فى أننا سيكتب لنا الفوز .
ولا تشكوا فى أننا ، إذا ما تحقق لنا النصر ، سنجزل لكم العطاء

(يخرجون)

الفصل الرابع

المنظر الثامن

لندن — القصر

طبول ، يدخل الملك هنرى ، وورك ، ومنتجيو ، وكلارنس ، وإكستر ، وأكسفورد

وريك : ما رأيكم يا سادة ، لقد عاد إدورد من بلجيكا ،
ومعه ألمان يسرعون الخطى ، وهولنديون غلاظ جفاة ،
وعبر البحار الضيقة فى أمان .
وهو يزحف الآن على رأس جنوده إلى لندن ،
ويهرع إليه كثيرون من الخلائق المتقلبين .

الملك هنرى : فلنعبئ الجند لنرده على أعقابه .

كلارنس : إن النار الصغيرة لا تلبث أن تنطفئ إذا وطئتها الأقدام ،
فإذا تركتها تتأجج ، عجزت عن إطفائها الأنهار .

وريك : إن لى فى واركشير أصدقاء صادقين

لا يتمردون فى السلم ، ولكنهم شجعان فى الحرب ،
وسوف أجند أولئك الأقوام . أما أنت يا ابنى كلارنس ،
فعليك أن تثير ، فى سفوك ، ونورفوك ، وكنت ؛
الفرسان والأشراف كى يأتوا معك ،
وأنت يا أخى منتجيو فستجد فى بكنجهام ،
ونورثمبتن ، وليستر شير رجالا يهفون بآذانهم إلى ما تأمرهم به .
وأنت يا أكسفورد الباسل ، يا من يحبه
أهل أكسفورد شير أعظم الحب ،
عليك أن تحشد من فيها من الأصدقاء .
أما مولاى الملك والمواطنون الذين يحبونه ،
ويلتفون حوله ، كما يلتف البحر حول جزيرته .
أو كما تلتف الحور حول ديانا الخفرة .
فسيبقى فى لندن حتى نجىء إليه .
أيها السادة الكرام ، استأذنوا للانصراف ،
ولا تنتظروا حتى تردوا الجواب . وداعاً يا مولاى .

الملك هنرى : وداعاً ياهكتور [١] ، يا أمل طروادتى الحق .

كلارنس : دعنى أقبل يدك دليلا على صادق إخلاصى .

الملك هنرى : حالفك التوفيق يا كلارنس يا ذا العقل الحصيف .

منتجيو : استرح يا مولاى ، وأستأذنك فى الانصراف .

أكسفورد : وبهذا أسجل ولائى ، وأستودعك الله .

الملك هنرى : يا عزيزى أكسفورد ، وأنت يا منتجيو ،
يا من تحبنى وتعزنى ،
أودعكم جميعاً مرة أخرى وأتمنى لكم السعادة .

وريك : وداعاً أيها السادة النجب ، وإلى اللقاء فى كفنترى .

(يخرجون جميعاً ما عدا الملك هنرى و إكستر)

الملك هنرى : لأستريحن قليلا هنا فى القصر ،
ما رأى سيادتك ، يابن العم إكستر ؟
أظن أن القوة التى أنزلها إدورد فى ميدان القتال
لن تقوى على لقاء قوتى .

إكستر : لكن الذى نخشاه أن يغرى الباقين فينضموا إليه .

---

(١) هكتور من أعظم أبطال طروادة اشتهر ببسالته فى حربها مع اليونان (المترجم)

الملك هنرى : لست أخشى هذا . لأن فعالى قد أذاعت شهرتى ؟
فأنا لم أصم أذنى عن سماع مطالبهم .
ولم أتهاون بالتسويف فيها والبطء .
وكانت رأفتى بهم بلسمًا يشفى جراحهم ،
وحلمى يخفف من شدة أحزانهم ،
ورحمتى تجفف دموعهم الهتانة الجارية .
ولم أطمع قط فى أموالهم ،
ولم أرهقهم بالضرائب الفادحة .
ولم أبادر إلى الانتقام منهم وإن كثرت أخطاؤهم .
فعلام إذن يحبون إدورد أكثر مما يحبوننى ؟
لا يا إكستر ، إن هذه الحسنات لن تجزى إلا بحسنات مثلها .
وإذا ما صانع الأسد الحمل ،
فإن الحمل لن ينقطع عن السير وراءه .

(يسمع صراخ فى الداخل ، يا لانكستر ! يا لانكستر !)

إكستر : أنصت ، أنصت ، يا مولاى ! ما هذا الصراخ ؟

(يدخل الملك إدورد وجلوستر ، وجنود) .

الملك إدورد : اقبضوا على هنرى الحيي المحتشم . واحملوه من هنا ،
ونادوا بى مرة أخرى ملكًا على إنجلترة .
إنك أنت النبع الذى تنساب منه الجداول الصغرى .
والآن تسد العين التى يخرج منها ماؤك ؛
ويمتص بحرى ماء تلك الجداول ،
فيجف ويعلو بذلك ماء بحرى .
خذوه من هنا إلى البرج ! ولا تسمحوا له بالكلام .
(يخرج بعضهم ومعهم الملك هنرى)
ولنتخذ طريقنا يا سادة نحو كوفنترى ،
حيث يقيم الآن الطاغية وريك :
إن الفرصة الآن سانحة فلنغتنمها[1] .
أما إذا تباطأنا فقد أضعناها وضاعت معها آمالنا[1]

---

(١) فى الأصل إشارة إلى المثل الإنجليزى المعروف Made hay while the sun shines ولم نشأ أن نتقيد بحرفيته بل آثرنا إثبات معناه وهذا مذهب له قيمته فى ترجمة الأمثال إن لم يكن لها أمثال فى معناها باللغة العربية (المترجم) .

جلوستر : هيا عجلوا ، قبل أن تتجمع قواه ،
كى نأخذ الخائن المتعاظم على غرة .
أيها المحاربون البسلاء ، سيروا من فوركم نحو إكستر
(يخرجون)

الفصل الخامس

المنظر الأول

كوفنترى

يظهر وريك ، وعمدة كوفنترى ، ورسولان ، وأناس آخرون فوق الأسوار .

وريك : أين الرسول الذى قدم من عند أكسفورد الشجاع ؟
كم يبعد سيدك عنا . أيها الرفيق الأمين ؟

الرسول الأول : هو فى هذه الساعة عند دنزمور يستحث الخطى إلى هذا المكان .

وريك : وكم يبعد عنا أخونا منتجيو ؟
أين الرسول الذى قدم من عند منتجيو ؟

الرسول الثانى : هو فى هذه الساعة عند دينترى ، على رأس قوة كبيرة

(يدخل سير جون سمرڤيل)

وريك : قل لى يا سمرڤيل ، ماذا يقول أخى الحبيب ؟
وكم تظن البعد بين كلارنس وبين هذا المكان الآن ؟

سمرڤيل : لقد غادرته هو وجنوده عند سذم
ويتنظر وصوله إلى هنا بعد نحو ساعتين .

(تسمع طبول)

وريك : إذن، فقد وصل كلارنس فهأنذا أسمع طبوله .

سمرڤيل : ليست هذه طبوله يا سيدى ، فإن سذم تقع في هذه الناحية
والطبول التى تسمعها سيادتكم قادمة من وريك .

وريك : ترى من يكون القادم ؟ أكبر ظنى أنهم أصدقاء لم نكن نتوقع قدومهم .

سمرڤيل : لقد أقبلوا ، وستعرف من فورك من هم .

(زحف — طبل — يدخل الملك إدورد ، وجلوستر ، وقوات حربية)

الملك إدورد : اذهب يا نافخ البوق إلى الأسوار وادع إلى المفاوضة .

جلوستر : واستكشف القوة التى أقامها وريك المشاكس فوق الأسوار .

وريك : ألا أيها الشر الذى جاء على غير انتظار !
هل أقبل علينا إدورد العابث ؟

وأين كان كشافونا نائمين ، أو كيف خدعوا وغرر بهم ،
فلم نسمع خبراً عن قدومه ؟

الملك إدورد : والآن يا وريك ، هل تفتح أبواب المدينة ، وتحسن الكلام ،
وتثنى ركبتك خاضعًا ذليلا ،
وتنادى بإدورد ملكًا ، وتلتمس منه الرحمة ؟
فإن فعلت فسيغفر لك هذه السيئات .

وريك : لا ، بل أسألك بدلا من هذا . هل تسحب قواتك من هذا المكان ؟
وهل تعترف بالذى أقامك على العرش وأنزلك عنه ؟
وتدعو وريك نصيرك وحاميك ؟ وتكفر عن ذنبك ؟
فتبقى على الدوام دوق يورك .

جلوستر : لقد حسبت أن سيقول على الأقل فتبقى ملكًا ،
أو هل قال ما قال مزاحًا عن غير قصد ؟

وريك : أليست الدوقية ، يا سيدى ، هدية طيبة ؟

جلوستر : إى وربى ، إنها هدية طيبة يهديها إيرل مسكين :
سأجزيك بما تستحق على هذه الهدية الطيبة .

وريك : إنى أنا الذى وهبت الملك لأخيك .

الملك إدورد : إذن فهو لى هبة من وريك ، إن لم يكن لسبب آخر .

وريك : إنك لن تطيق حمل هذه الأمانة الثقيلة .
وإن وريك ليسترد هبته منك أيها الضعيف .
وإن هنرى لهو مليكى وإدورد أحد رعاياه .

الملك إدورد : ولكن ملك وريك سجين إدورد .
ولست أسألك يا وريك الشهم إلا أن تجيبنى عن هذا السؤال :
ما قيمة الجسد ، إذا ذهب عنه الرأس ؟

جلوستر : واأسفاه ! لقد أثبت وريك أنه قصير النظر ،
فبينا كان وريك يحتال ويخادع .
إذا الملك قد اختلس من بين صحبه [1] .
فقد تركت هنرى المسكين فى قصر الأسقف ،
ولست أشك فى أنك ستلتقى به فى البرج .

الملك إدورد : ذلك حق لا ريب فيه : ومع هذا فإنك لا تزال على ما أنت عليه .

(١) فى الأصل استعارة من لعب الأوراق وأنواع العشرات وما إليها رأينا أن نترجمها بمعناها لا بألفاظها (المترجم) .

جلوستر : هلم يا وريك . اغتنم هذه الفرصة . اجث على ركبتيك . اجث على ركبتيك
إلى متى التباطؤ ؟ عجل الآن . وإلا ضاعت الفرصة .

وريك : لخير لى أن أقطع يدى هذه بضربة واحدة .
ثم ألقيها فى وجهك باليد الأخرى ،
من أن أخفض شراعى لأتذلل لك .

الملك إدورد : انشر شراعك كما يحلو لك ، ولتحالفك الريح والأمواج كما تحب
فإن هذه اليد ستقبض على شعرك الأسود الفاحم ،
وحين لا يزال رأسك ساخنا وشيك القطع .
سنكتب بدمك على الثرى هذه العبارة :
« إن وريك المتقلب مع الريح . لن يستطيع التقلب بعد اليوم » .

(يدخل أكسفورد بطبوله وأعلامه) .

وريك : إيه أيتها الأعلام المفرحة المبهجة ! ها هو ذا أكسفورد قد أقبل .

أكسفورد : أكسفورد فى نصرة بيت لانكستر !

(يدخل هو وجنوده المدينة)

جلوستر : لقد فتحت الأبواب فهيا بنا نحن أيضًا ندخل

الملك إدورد : وبهذا يطبق علينا أعداء آخرون من وراء ظهورنا .
خير لنا أن نقف متأهبين . لأنهم بلا ريب
سيخرجون مرة أخرى طالبين القتال .
فإن لم يفعلوا ، فإن المدينة ضعيفة التحصين .
وسنهاجم من فيها من الخونة بعد قليل .

وريك : مرحبًا بك يا أكسفورد : لأنا فى حاجة إلى معونتك .

(يقبل منتجيو بالطبل والأعلام)

منتجيو : منتجيو ، منتجيو ، ينصر بيت لانكستر .

(يدخل هو وجنوده المدينة)

جلوستر : إنك أنت وأخاك . ستشتريان كلاكما هذه الخيانة
بأغلى دم يجرى فى جسديكما .

الملك إدورد : كلما زاد خصمك قوة ، كان انتصارك عليه أدعى إلى المجد .
وإن قلبى ليحدثنى بأنا ملاقون توفيقًا ونصراً .

(يقبل سمرست ، بطبله وأعلامه)

سمرست : سمرست ، سمرست ، فى نصرة بيت لانكستر .

(يدخل هو وجنوده المدينه)

حلوستر : إن اثنين من أهلك ، كلاهما كان دوق سمرست [١] ،
قد لقيا حتفهما على يد بيت يورك ،
وستكون أنت ثالثهما إن لم ينب هذا السيف .
(يقبل كلارنس بطبله وأعلامه)

وريك : انظروا ، ها هو ذا جورج دوق كلارنس
زاحف نحونا ،
بقوة تكفى وحدها لقتال أخيه .
وقد غلب فيه التحمس لنصرة الحق .
غريزة الحب الأخوى !
أقبل يا كلارنس ، أقبل
وحتى أنت يا بروتس ستطعن قيصر أيضاً [٢] .
إذا دعاك إلى ذلك وريك .

كلارنس : هل تعلم أيها الأب وريك معنى هذا العمل ؟
(ينزع وردته الحمراء من قبعته)

---

(١) هو إدموند الذى قتل فى واقعة سانت أولبنر عام ١٤٥٥ ، وابنه هنرى الذى قطع رأسه بعد واقعة هكسام عام ١٤٦٣ (المترجم) .

(٢) إشارة إلى الطعنة التى وجهها بروتس صديق قيصر الحميم إليه وإلى قول قيصر له « حتى أنت يا بروتس » . وهذا البيت غير موجود فى بعض الطبعات (المترجم) .

انظر ، هأنذا أقذف بخزيى فى وجهك :
ولن أهدم قط بيت أبى ،
الذى أراق دمه ليشيد لنا صرحًا متينًا .
ويثبت بيت لانكستر . أفتعتقد يا وريك
أن كلارنس قد بلغت به الغلظة ، والغفلة
والخروج على الطبيعة البشرية
أن يسدد سهام القتال المهلكة
إلى صدر أخيه ومليكه الشرعى ؟
لعلك تحتج علىّ بيمينى المقدسة :
لكننى إن بررت بهذه اليمين اقترفت إثمًا
أشنع مما اقترفه يفتاح [1] حين ضحى بابنته ،
وإنى لنادم على ما ارتكبت من خطأ .
وهأنذا أعلن أنى عدوك الألد ،
لأكون بذلك خليقًا بأن يغفر لى أخى .
وأقسم أنى حيثما ألقاك —
وسألقاك إذا برزت من مكمنك —
لأجزينك شر الجزاء على تضليلك لى بهذه

---

(١) انظر سفر القضاة ١١ : ٣٠ .

الطريقة المشينة .

بهذا أتحداك يا وريك المتغطرس
وأعود إلى أخى بوجه يعلوه الخجل .
عفوك يا إدورد ، سأكفر عن ذنبى ،
وأنت يا رتشارد ، لا تغضبك أخطائى ،
فلن ترانى بعد اليوم متقلباً .

الملك إدورد : مرحبًا بك ، من جديد ، وأنت اليوم أحب إلينا أضعاف أضعاف مما لو لم تكن قد استحققت كرهنا .

جلوستر : مرحبًا ، أى كلارنس الكريم ، هذا ما يليق بالأخ لأخيه .

وريك : إيه أيها الخائن المارق ، يا حانث يا ظالم ؟

الملك إدورد : أجب يا وريك : أتخرج من المدينة وتحارب ؟
أو هل ندك حجارتها مع الأسف حول أذنيك ؟

وريك : لست مقيمًا هنا لأدافع عن نفسى .
وسأخرج من فورى إلى بانت
لأدعوك إلى القتال ، إن جرؤت على قتالى
يا إدورد

الملك إدورد : نعم يا وريك ، إن إدورد لجرىء مقدام ، وهو يسبق إلى الميدان .

هيا بنا إلى الميدان أيها السادة ، وليكن شعارنا القديس چورج وإلى النصر.

(يخرجون . يزحفون ويتبعهم وريك وجمعه) .

الفصل الخامس

المنظر الثانى

ميدان حرب قرب بارنت

طبول مناوشات . يدخل الملك إدورد ومعه وريك جريحاً .

الملك إدورد : إذن فارقد هنا : ولتمت ، وليمت معك خوفنا ،
فقد كان وريك مصدر خوفنا جميعاً وارتياعنا ،
والآن يا منتجيو ، اثبت مكانك فإنى طالبك .
حتى تثوى بجوار عظام وريك .

وريك : آه من هذا الذى بالقرب منى ؟ تعال إلىّ
صديقاً كنت أو عدواً ،
وقل لى لمن تم النصر ، إلى يورك أم إلى وريك ؟
ولكن لم أسأل عن هذا ؟ إن جسدى الممزق ،
ودمى المسفوك ، وضعف قواى ، وقلبى العليل ،
لتدل كلها على أنى يجب أن أسلم جسدى إلى الثرى ،
وإن سقوطى هذا يعنى أن العدو هو المنتصر .

وهكذا تستسلم السنديانة لضربات الفأس ،
وهى التى كانت أغصانها ملجأ النسر أمير الطير ،
والتى آوى إلى ظلها الأسد الهصور ،
والتى علت فروعها السامقة على شجرة چوف ذات الأغصان الوارفة [1] .
وحمت الأعشاب القصيرة من ريح الشتاء العاتية .
لقد كانت هاتان العينان اللتان غشيتهما غبرة الموت السوداء ،
نافذتى البصر نفاذ الشمس فى كبد السماء ،
تنمان عما فى العالم من غدر خبىء .
وهذه الغضون التى فى جبهتى ، والمليئة الآن بدمى ،
كثيراً ما كانت شبيهة بقبور الملوك .
فأى ملك حى لم أكن أستطيع أن أحفر قبره ؟
ومنذا الذى كان يجرؤ أن يبتسم إذا قطب وريك جبينه ؟

---

(١) شجرة جوف أو جوبتر هى شجرة البلوط (المترجم) .

فانظروا الآن : إن مجدى قد عفر بالتراب ولطخ بالدماء .
وحدائقى ، وطرقاتى ، وقصورى التى كنت أملكها
قد ذهبت كلها فى هذه الساعة ، وكل ما كان لى من الأرض
لم يبق لى منه إلا بقدر ما يمتد فيه جسدى .
ليست الأبهة ، والفخامة ، والسلطان ، والحكم ، إلا أرضًا وترابًا ،
ومهما طال عمرنا ، فلا بد أن نلاقى الموت .
(يدخل أكسفورد وسمرست)

سمرست : آه يا وريك ، يا وريك ! لو أنك كنت حيًّا مثلنا .
لكان فى مقدورنا أن نسترد مرة أخرى ما خسرناه .
لقد جاءت الملكة من فرنسا بقوة كبيرة .
ترامت إلينا أنباؤها فى هذه الساعة . آه ليتك كنت تستطيع الفرار .

وريك : ولو أنى استطعته لما فعلت . آه يا منتجيو .
إن كنت أنت هنا ، أيها الأخ الحبيب ، فخذ بيدى ،
وأطل بشفتيك حياتى هنيهة .

إنك لا تحبنى . فلو أنك كنت تحبنى أيها الأخ ،
لغسلت بدموعك هذا العدم البارد المتجمد .
الذى تلتصق به شفتاى فيمنعنى عن الكلام .
تعال يا منتجيو مسرعًا . وإلا مت قبل أن تجىء

سمرست : آه يا وريك ! لقد لفظ منتجيو آخر أنفاسه ،
بعد أن ظل إلى آخر رمق من حياته ينادى طالبًا
وريك ،
ويقول : « أبلغوا تحياتى إلى أخى الباسل » .
وكان بودى أن يقول أكثر من هذا . نعم إنه نطق
بأشياء كثيرة ،
ولكن كلامه كان أشبه بقصف مدفع فى قبو ،
لا تستطيع تبين عباراته ، وأخيراً
كان فى وسعى أن أسمعه يقول قالة مصحوبة
بالأنين ،
« آه ، وداعًا ، يا وريك ! »

وريك . ليهب الله روحه العزيزة الراحة ! فروا ، أيها السادة
وانجوا بأنفسكم :
لأن وريك يودعكم جميعًا . حتى نلتقى فى الجنة .
(يموت)

أكسفورد : هيا بنا ، هيا بنا ، نقابل جيش الملكة العظيم !
(يحملون الجثه ويخرجون)

الفصل الخامس

المنظر الثالث

جزء آخر من ساحة القتال

طبول . يدخل الملك إدورد منتصراً ، ومعه كلارنس ، وجلوستر ، وسائر رجاله .

الملك إدورد : وهكذا يظل طالعنا فى صعود ، ويكلل هاماتنا النصر ،

ولكنى أبصر فى ضوء هذا النهار الساطع .
سحابة قاتمة ، مريبة ، منذرة بالخطر ،
سوف تصطدم بشمسنا الرائعة قبل أن تتم دورتها وتؤذن بالغروب ،
أقصد بهذا يا سادة تلك الجيوش التى جندتها الملكة فى فرنسا .
والتى وصلت إلى شواطئنا ،
وتزحف الآن ، كما علمت ، لتحاربنا .

كلارنس : إن ريحاً ضعيفة لكفيلة بأن تبدد هذه السحابة • وقت قليل .

وتردها إلى المكان الذى أقبلت منه .
وإن أشعة الشمس وحدها لكفيلة بأن تجفف هذه الأبخرة فلا يبقى لها وجود ،
وليست كل سحابة تنذر بعاصفة .

جلوستر : إن قوة الملكة تقدر بثلاثين ألف مقاتل ،
وقد فر إليها سمرست مع أكسفورد :
وإذا ما أتيحت لها فرصة من الوقت تستجمع فيها أنفاسها ،
فثق بأن حزبها سيقوى حتى يصبح فى مثل قوتنا .

الملك إدورد : لقد أبلغنا أصدقاؤنا المخلصون .
أنهم يتجهون نحو توكسبرى .
والآن وقد انتصرنا نصراً مؤزراً فى ميدان بارنت ،
سنزحف إلى هناك من فورنا ، وإن الإرادة القوية لتطوى الأبعاد ،
وستزداد قواتنا ، أثناء سيرنا ، فى كل مقاطعة تمر بها
دقوا الطبول ، ونادوا « الشجاعة ! » هيا بنا

(طبول — يخرجون)

الفصل الخامس

المنظر الرابع

سهل قرب توكسبرى

زحف ، تدخل الملكة مرجريت ، والأمير إدورد ، وسمرست ، وأكسفورد ، وجند .

الملكةمرجريت : أيها السادة الأجلاء ، إن العقلاء من الناس
لا يجلسون أبداً .
ليندبوا ما أصيبوا به من خسائر ،
ولكنهم يسعون مستبشرين ليصلحوا ما فسد من أمرهم
ونحن ، وإن كانت سفينتنا قد تحطمت ساريتها ،
وتقطعت أمراسها ، وضاع مرساها ،
وابتلع اليم نصف بحارتنا ،
فإن قائدنا لا يزال على قيد الحياة ، فهل يليق به
أن يرفع يده عن السكان ويعمل ما يعمله الصبى
المرتاع ،
ويذرف الدمع ويزيد البحر ماء على مائه ،
ويضيف قوة إلى ماله منها أكثر مما يريد !

وبينا هو يئن ويتأوه إذ تتحطم السفينة على الصخور
وكان الجد والإقدام كفيلين بنجاتها ؟
آه ، يا للعار . وما أشنع هذه الغلطة إن وقعنا فيها .
ولنفرض أن وريك كان هو مرسانا ، ولكن ماذا يهم هذا ؟
ولنفرض أن منتجيو كان ساريتنا العليا ، فماذا يهمنا منه ؟
وكان من ماتوا من أصدقائنا حبال السفينة . فماذا يهمنا منهم ؟
أليس أكسفورد هذا مرساة أخرى ؟
أليس سمرست سارية صالحة قوية ؟
وأصدقاؤنا فى فرنسا أشرعة لنا وحبالا ؟
ولم لا يعهد إلى وإلى ند ، وإن كنا غير حاذقين ،
أن نتولى نحن القيادة فى هذه المرة ؟
ولن نغادر السكان لنجلس ونبكى ،
بل سنسير فى طريقنا ، وإن عاكستنا الريح العاتية .
نبتعد عن الشطآن والصخور التى تهددنا بالدمار ،
متأهبين لأن نقهر الأمواج أو نهادنها .

وهل إدورد إلا بحر عجاج ؟
وهل كلارنس إلا الشطآن الرملية الغادرة ؟
وهل رتشارد إلا صخرة عاتية مهلكة ؟
كل أولئك هم أعداء سفينتنا الضعيفة .
ولو أنكم استطعتم السباحة ، لما كان ذلك ، مع
الأسف ، إلا فترة وجيزة ،
ولو استطعتم السير على الرمال الناعمة ، لغاصت
بعد قليل أقدامكم فيها .
أو ركبتم الصخرة . لافتلعتكم من فوقها الأمواج ،
أو هلكتم فوقها جوعـاً ، لمتم ميتات ثلاثـاً .
أقول لكم هذا أيها السادة لكى تدركوا
أنه إذا حدثت أحدكم نفسه بالانفضاض عنا ،
فإنه لن يرجو من هؤلاء الإخوة رحمة ،
أكثر مما عساه يلقاها من الأمواج العاتية ، أو من
الرمال والصخور ،
اعتصموا إذن بالشجاعة ! فإذا لم يكن من
الأمر بد ،
فإن الويل والخوف لا يكونان إلا ضعفـاً كضعف
الأطفال .

الأمير : أظن أن امرأة لها هذه الشجاعة ،
الخليقة ، إذا سمع منها جبان هذه الألفاظ ،
بأن تبعث في قلبه النخوة والشهامة ،
وأن تجعله ، وهو أعزل ، قادراً على مغالبة رجل شاكي السلاح .
ولست أقول هذا لأني أرتاب في واحد منكم ،
لأني لو ظننت أن من بينكم خائفاً ،
لأذنت له من قبل بالقعود ،
كيلا تسرى عدواه إلى غيره في ساعة الشدة ،
فتحيله جباناً مثله .
فإن كان منكم من له مثل هذه الروح ، وحاشا لله أن يكون ،
فليفارقنا قبل أن نحتاج إلى معونته .

أكسفورد : أتكون للنساء والأطفال مثل هذه الشجاعة .
ثم يجبن المحاربون ! لو كان هذا لكان هو العار الذي لا يمحى أبد الدهر .
أيها الأمير الشاب الباسل ! إن جدك الذائع الصيت

لتحيا روحه من جديد: أسأل الله أن يمن عليك
بالعمر المديد .
لنرى فيك صورته . وتتجدد على يديك أمجاده !
سمرست : ومن لم يشأ منكم أن يقاتل فى سبيل هذا الأمل العظيم ،
فليعد إلى بيته وفراشه ، وإذا ما خرج من بيته بالنهار ،
سخر الناس منه وعجبوا له كما يسخرون من البومة
الملكةمرجريت : شكراً لك يا سمرست ، يا صاحب القلب الطيب ،
وشكراً لك يا عزيزى أكسفورد
الأمير : وتقبل الشكر ممن لا يملك شيئاً سواه .
(يدخل رسول)
الرسول : استعدوا أيها السادة لأن إدورد قريب ،
ومتأهب للقتال . إذن فشدوا عزائمكم .
أكسفورد : لم أكن أظن غير هذا ، فهذه هى خطته .
يسرع فى الزحف على هذا النحو ، كى يفاجئنا
على غير استعداد .
سمرست : ولكنه واهم ، فنحن مستعدون .
الملكةمرجريت : إن مما يبتهج له قلبى أن أرى منكم هذا الإقدام

أكسفورد هنا فلتدر المعركة ، ولن نتزحزح عن هذا المكان .

(طبول وزحف ، يدخل الملك إدورد ، وكلارنس ، وجلوستر وجنود)

الملك إدورد رجالى البسلاء . إن أمامكم غابة ذات أشواك ،
وهى غابة لا بد أن تقتلع أشجارها من جذروها
قبل أن يجن الليل .
بعون الله وقوة عزائمكم .
ولست فى حاجة أن أزيد نار حماستكم ضرامًا ،
لأنى أعلم أنكم تتحرقون شوقاً إلى القضاء عليهم .
أصدروا الأمر بالقتال ، وهيا إليه يا سادة !

الملكة مرجريت : أيها الأعيان ، وأيها الفرسان ، وأيها السادة ، إن
دمعى يحول بينى وبين ما أريد أن أقوله ، لأن كل
كلمة أنطق بها ،
أبتلع معها ، كما ترون ، دموع عينى ؛
ولهذا لن أقول لكم إلا هذه الكلمة : إن هنرى
مليككم
سجين لدى عدوكم ، ملكه مغتصب ،
ومملكته قد استحالت مجزراً ، ورعاياه يذبحون ،
وشرائعه تنسخ ، وأمواله تبدد ،

وأمامكم ذلك الذئب مصدر هذا الدمار .

إنكم تحاربون لنصرة العدالة ، فبحق الله عليكم أيها السادة

كونوا شجعانًا ، وأصدروا الأمر بالقتال .

(طبول ، تقهقر ، مناوشات . . يخرجون)

الفصل الخامس

المنظر الخامس

جزء آخر من ساحة القتال

طبول : يدخل الملك إدورد ، وكلارنس ، وجلوستر ، وجند ، ومعهم الملكة مرجريت ، وأكسفورد ، وسمرست أسرى .

الملك إدورد : هنا تنتهى مرحلة من مراحل هذه الفتنة الصاخبة .
اذهبوا يا أكسفورد إلى قلعة هيمز من فوركم .
أما سمرست فأطيحوا برأسه الآثم .
هيا ، سيروا بهم من هذا المكان ، فلست أريد أن أسمع منهم كلامًا .

أكسفورد : أما أنا فلن أثقل عليكم بشيء منه .

سمرست : وكذلك أنا . بل أحنى هامتى صابراً على صروف الأقدار .

(يخرج أكسفورد وسمرست تحت الحراسه)

الملكة مرجريت : وهكذا نفترق محزونين فى هذا العالم المضطرب .
لنلتقى سعداء فى دار النعيم .

الملك إدورد : هل أعلنتم أن من يعثر على إدورد .
فله مكافأة سخية ، ولإدورد الأمان على حياته ؟
جلوستر : نعم فعلنا ، ولكن ها هو ذا إدورد الشاب قادم .
(يدخل بعض الجنود ومعهم إدورد)
الملك إدورد : إيتونى بالفتى الشهم ، ولنسمع ما يقول .
ماذا أرى أبدأت تخز هذه الشوكة الصغيرة ؟
أى إدورد ، أى سبب تستطيع أن تبرر به
حمل السلاح فى وجهى ، وإثارة رعاياى ،
وكل ما أوقعتنى فيه من المتاعب ؟
الأمير : تكلم كما ينبغى أن يتكلم الرعايا ، يا دوق يورك الطامع المتغطرس ،
وافترض أنى أتكلم الآن بلسان أبى .
فأقول لك . انزل عن عرشك ، واركع على الأرض حيث أقف ،
لأوجه إليك الألفاظ نفسها .
التى تريد منى أيها الخائن أن أجيبك عنها .
الملكة مرجريت : ألا ليت أباك كانت له مثل هذه العزيمة الماضية .
جلوستر : حتى كنت تلبسين على الدوام أثواب النساء .
ولا تختلسين من لانكستر ملابس الرجال .

الأمير : دعى إيزوب يهرف بخرافاته فى ليلة الشتاء ،
فألغازه الخسيسة لا يليق النطق بها فى هذا المكان .

جلوستر : تالله أيها الولد المدلل لأذيقنك البء جزاءك على
هذه الألفاظ .

الملكةمرجريت : أجل ، فإنك قد ولدت لتكون بلاء للناس .

جلوستر : بالله أبعدوا هذه الأسيرة السليطة اللسان .

الأمير : بل أبعدوا بدلا منها هذا الإنسان الأحدب الطويل
اللسان .

الملك إدورد : اسكت أيها الولد العنيد وإلا أخرست لسانك .

كلارنس : أيها الغلام الجلف ، إنك لوقح غاية الوقاحة .

الأمير : إنى لأعرف واجبى ، ولكنكم جميعًا لا تعرفون
واجبكم .
وأنا أقول لكم يا إدورد الداعر ، وأنت يا جورج
الحانث ،
وأنت يا دك المشوه الخلق ، أقول لكم جميعًا ،
إنى خير منكم ، لأنكم خونة غادرون .
ولأنكم تغتصبون حق أبى وحقى .

الملك إدورد : خذ هذه ، يا شبيهاً بهذه الوقحة التى هنا (يطعنه)

جلوستر : أتتلوى ؟ خذ هذه لتنهى بها آلامك (يطعنه) .
كلارنس : خذ هذه جزاء اتهامك إياى بالحنث (يطعنه) .
الملكة مرجريت : ألا فاقتلونى أنا أيضاً .
جلوستر : تالله لنفعلن (يهم بقتلها) .
الملك إدورد : كف يدك يا رتشارد ، كف يدك . فقد أسرفنا في القتل .
جلوستر : ولم تعيش لتملأ الدنيا بأقوالها ؟
الملك إدورد : ماذا أرى ، هل أغمى عليها ؟ اتخذوا الوسائل التى تعيد إليها وعيها .
جلوستر : يا كلارنس ، اعتذر عنى لأخى الملك .
فسأرحل إلى لندن لأمر هام .
وثقوا أن ستبلغكم أنباء خطيرة قبل أن تصلوا إليها .
كلارنس : أى أنباء ! أى أنباء ؟
جلوستر : البرج ! البرج ! (يخرج) .
الملكة مرجريت : أى ند[1] ، عزيزى ند ! رد على أمك يا بنى !
ألا تستطيع الكلام ؟ تباً للخونة ! السفاحين !
إن الذين طعنوا قيصر ، لم يسفكوا دماً قط ،
ولم يسيئوا ، ولم يكونوا خليقين باللوم ،

---

(١) ند اسم التدليل لإدورد (المترجم) .

أو أن هذا العمل الدنىء قد حدث إلى جانبه ليقارن به .
لقد كان قيصر رجلا ، أما هذا فإنه إذا قيس إليه طفل صغير .
والناس لا يصبون غيظهم قط على الأطفال .
ترى أى اسم أشنع من اسم القتلة حتى أسميهم به .
لا ، لا ، إن قلبي سينفجر إذا أنا تكلمت ،
وسأتكلم ، كى ينفجر قلبى .
أيها الجزارون الأوغاد ! أيها السفاحون يا أكلة لحوم البشر ،
أى نبات حلو حصدتم قبل أوان الحصاد ؟!
إنكم لا أبناء لكم أيها الجزارون ! ولو كان لكم أبناء ،
لأثار تفكيركم فيهم الأسى والندم فى نفوسكم :
وإذا قدر لأحدكم أن يكون له ولد ،
فلينتظر أن يمزق جسمه فى شبابه ،
كما مزقتم أيها القتلة جسم هذا الأمير الشاب العزيز !

الملك إدورد : أبعدوها من هنا ! احملوها من هذا المكان بالقوة .

الملكة مرجريت : لا ، لا تحملونى من هنا أبداً ، بل اقتلونى فى هذا المكان :
هيا جرد سيفك ، وسأغفر لك مقتلى .
ما هذا ! ألا تفعل ؟ إذن فافعلها أنت يا كلارنس .

كلارنس : تالله ، ما أنا بالرجل الذى يتيح لك هذه الراحة .

الملكة مرجريت : أى كلارنس ، أيها الرجل الطيب ، كلارنس ، أيها الرجل اللطيف ،
بالله عليك أن تفعل .

كلارنس : ألم تسمعينى أقسم إننى لن أفعل ؟

الملكة مرجريت : بلى ، ولكنك تعودت الحنث فى أيمانك :
وإذا كان هذا قبل إثما ، فهو الآن إحسان .
ما هذا ؟ ألا تفعل ؟ أين ذلك الشيطان الجزار ،
القبيح الوجه ، المشوه الخلق رتشارد ؟ أين أنت يا رتشارد ؟
لست هنا ، إن القتل لمن حسناتك ،
فأنت لا ترد أبداً من يطلب إليك سفك الدماء .

الملك إدورد : قلت لكم أبعدوها من هنا! إنى آمركم أن تحملوها من هنا .

الملكةمرجريت : ليحل عليكم ، وعلى أهلكم ، ما حل بهذا الأمير !

(يخرجون بها)

الملك إدورد : أين ذهب رتشارد ؟

كلارنس : ذهب على جناح السرعة إلى لندن ، وأظنه ذهب ليحدث فى البرج مذبحة .

الملك إدورد : إنه متهور مندفع ، إذا ما خطر شىء بباله .
والآن فلنسر من هنا : ولتسرحوا عامة الجند .
ولتجزلوا لهم العطاء والشكر ،
وهيا بنا إلى لندن .
كى نرى ملكتنا الجميلة ، ونطمئن على أحوالها
وأرجو أن تكون الآن قد أنجبت لى ولداً .

(يخرجون)

الفصل الخامس

المنظر السادس

لندن — البرج

يدخل الملك هنرى وجلوستر وقائد الحرس على السور

جلوستر : طاب يومك يا مولاى ، ما هذا ! أمكب أنت على كتابك ؟

الملك هنرى : أجل يا سيدى الطيب ، أو سيدى فقط كما يجب أن أقول ،
لأن الملق إثم ، وكلمة طيب أحسن قليلا مما تستحق ،
والقول بأن جلوستر طيب ، كالقول بأن الشيطان طيب ، كلاهما سواء .
وكلاهما مناف للطبيعة ، إذن أقول يا سيدى غير الطيب .

جلوستر : اتركنا يا هذا وحدنا ، فإنا نريد أن نتحدث .

(يخرج قائد الحرس)

الملك هنرى : وهكذا يفر الراعى الأحمق من الذئب ،

وهكذا تسلم الشاة الوديعة جلدها ،
ثم تسلم بعدئذ عنقها لسكين الجزار .
فأى منظر من مناظر الموت يريد روسيوس[1] الآن
أن يمثله ؟

جلوستر : إن الظنون السوء تلازم الفعل الأثيم .
واللص يخشى كل عشب ويظنه حارساً .

الملك هنرى : إن الطير الذى اصطيد وهو فى عشب ،
يرتجف جناحاه ويرتاب فى كل الأعشاب .
وأنا الأب الشقى لطائر واحد جميل .
أبصر الآن أمامى ذلك العشب المهلك ،
الذى اصطيد فيه صغيرى المسكين ، وقبض عليه
وقتل .
لكن الأبله المسكين غرق ولم يفده جناحاه .
أنا ديدالوس هذا ، وإيكلروس هو ابنى المسكين ،
وأبوك مينوس ، هو الذى وقف فى وجهنا ،
وأخوك إدورد الشمس التى صلبت جناحى ولدى
العزيز ،
وأنت البحر الذى أغرقته أمواجه الغادرة وأهلكته ،

---

(١) روسيوس هو الممثل الرومانى العظيم المتوفى سنة ٦٣ ق . م (المترجم)

ويلك ، ألا ما قتلتنى بسلاحك لا بألفاظك ،
فإن صدرى ليطيق حد خنجرك ،
أكثر مما تطيق أذناى سماع تلك القصة المفجعة ،
ولكن قل لى ، لم أتيت ! ؟ أفأتيت لقتلى ؟

جلوستر : أو تظن أنى جلاد ؟

الملك هنرى : لاشك عندى فى أنك طاغيه متعسف :
وإذا كان قتل الأبرياء هو عمل الجلادين ،
فأنت إذن جلاد بحق .

جلوستر : لقد قتلت ولدك جزاء وقاحته .

الملك هنرى : لو أنك قُتِلت أول ما توقحت ،
لما عشت لأن تقتل لى ولداً .
وإنى لأتنبأ لك أن آلافاً مؤلفة .
ممن لا يتوجسون أقل مما أتوجس ،
وكثيراً من زفرات الشيوخ وحسراتهم ،
وكثيراً من دموع الأرامل واليتامى المنهمرة من عيونهم ،
ودموع الرجال التى يذرفونها لاحتضار أبنائهم ،
ودموع النساء لمقتل أزواجهن ولما يحن أجلهم ،

ودموع اليتامى لمقتل آبائهم ،
كل أولئك ، وحسراتهم ودموعهم ،
لتلعن تلك الساعة التى ولدت فيها .
لقد كان البوم ينعق مولدك ، منذراً بالشؤم ،
ونعيق غراب الليل ينبئ بما سيكون من أيام نكدة .
وعوت الكلاب واقتلعت العاصفة الهوجاء الأشجار من جذورها .
واختبأت الغربان السود بأعلى المداخن ،
وردد العقعق الثرثار نغمات حزينة ناشزة .
وأحست أمك بآلام المخاض أشد مما تحس بها سائر الأمهات .
ولكنها مع ذلك ولدت أقل مما تأمل أن تلده غيرها من النساء .
ولدت كتلة مشوهة غير مستوية ،
لا تشبه فى شىء ثمار تلك الشجرة الطيبة ،
لقد كانت لك وقت مولدك أسنان فى رأسك .
تنبئ بأنك جئت لتعض بها العالم :
و إذا كان ما سمعته غير هذا صحيحاً ،
فإنك جئت . . .

جلوستر : لن أسمع أكثر مما سمعت : مت ، يا متنبئ أثناء حديثك . (يطعنه)

فقد كان هذا من بين ما قدر لى أن أفعله .

الملك هنرى : أجل ، وقد قدر لك كثيراً غير هذا من القتل والاغتيال ،

آه ! ليغفر لى الله ذنبي ، ويسامحك .

جلوستر : ما هذا ! هل تمتص الأرض دم لانكستر صاحب الأطماع ؟

لقد كنت أظن أنه سيعلو إلى السماء .

انظروا كيف يبكى سيفى حزناً على موت الملك المسكين !

ألا ليت هذه الدموع القانية تذرف على الدوام ،

من كل من يريدون لبيتنا السقوط !

وإذا كانت لا تزال فيك أثارة من حياة ،

فلتهوين بهذه إلى الجحيم ، وقل إنى أنا الذى بعثتك إليها . (يطعنه طعنة ثانية)

أنا الذى لا أعرف الرحمة ، ولا الحب ، ولا الخوف .

إن ما قاله هنرى عنى لهو الحق الذى لا ريب فيه ،

فلقد طالما سمعت أمى تقول :
إنى ولدت وساقاى إلى الأمام .
ألا تظن أنى على حق حين أسرعت ،
فغضبت على من اغتصبوا حقنا ؟
ولقد عجبت القابلة من أمرى ، وصاحت للنساء :
« آه ، رحماك يا رب لقد ولد وله أسنان » .
وهكذا كنت ، ومعنى هذا فى وضوح :
أننى سوف أعوى ، وأعض ، وأفعل فعل الكلاب ،
وإذاً فما دامت السماء قد شكلت جسمى على هذا النحو .
فلتشوه الجحيم عقلى كى يتفق مع جسمى .
إننى لا أخاً لى ، ولست شبيهاً بأخ لى ،
وكلمة « الحب » هذه التى يسميها العجائز قدسية ،
إنما تحل فى قلوب من يتشابهون ،
وليس لها مكان فى قلبى ، فأنا نسيج وحدى .
ألا فاحذر يا كلارنس ، فإنك تحجب عنى الضوء ،
لكنى سأختار لك يوماً حالك الظلام ،
لأنى سأذيع عنك من الشائعات .

ما يخشى معها إدورد على حياته ،
ثم أعمل على إزالة خوفه بأن أقتلك .
لقد ذهب الملك هنرى وذهب ولده ،
وسيأتى بعد ذلك دورك ثم دور الباقين ،
ولن أرى نفسى شر الناس إلا ريثما أصبح أحسنهم .
سألقى ببدنك يا هنرى فى غرفة أخرى ،
وسيكون لى النصر فى يوم مصرعك .

الفصل الخامس

المنظر السابع

لندن — القصر

طبول . يدخل الملك إدورد ، والملكة إلزبث ، وكلارنس ، وجلوستر ، وهيستنجس ، ومربية معها الأمير ، وأتباع .

الملك إدورد : إنا لنجلس الآن مرة أخرى على عرش إنجلترة الملكى ،
الذى اشتريناه بدماء الأعداء .
فكم من عدو شجاع ، حصدناه وهو فى أوج عظمته
حصد الغلال إبان الخريف ،
منهم ثلاثة من أدواق سمرست ذاعت شهرتهم فى الآفاق
بالبسالة والبطولة اللتين لا يرقى إليهما الشك .
واثنان من آل كلفورد هما الأب وولده ،
واثنان من آل نورثمبرلند ، لم يمتط رجلان باسلان مثلهما

صهوة الجياد ، إذا ما دعا الداعى إلى القتال ،
وكان معهم الدُّبَّان الأشجعان وريك ومنتجيو ،
اللذان كبلا بأغلالهما الأسد الملكى ،
واهتزت من هول زئيرهما أشجار الغاب .
وبهذا طهرنا عرشنا من كل من نرتاب فيه ونخشاه ،
وارتقينا إليه فى آمان .
تعالى إلى يابس[1] . وهاتى ولدى أقبله .
أى ند الصغير ، فى سبيلك ظللت أنا وعماك ،
ساهرين طوال ليلة الشتاء ، وعلينا الدروع السابقة ،
وقضينا أيام الصيف القائظة سيراً على الأقدام ،
كى تستعيد التاج وأنت آمن .
وستجنى أنت ثمرة جهادنا .

جلوستر : (لنفسه على انفراد) سأحرق ذلك الحصاد ، إذا ما وضع رأسك فى التراب ،
لأن أعين العالم لا تتطلع إلىّ حتى الآن .
فهذه الكتف قد خلقت غليظة لكى تحمل الأعباء ،

---

(١) يريد زوجته إلزبث .

وستحمل بعض العبء لا محالة . أو فلينقصم ظهرى
فأعدّ أنت الطريق ، ولتقم أنت بالتنفيذ [1] .
الملك إدورد : يا كلارنس ، ويا جلوستر ، أحبا ملكتى الجميلة .
وقبلا يا أخوى كليكما ابن أخيكما الأمير الجميل .
كلارنس : إن واجب الولاء الذى أدين به لجلالتكم .
أؤكده بهذه القبلة التى أطبعها على شفتى هذا الطفل الجميل .
الملكة إلزبث : شكراً لك يا كلارنس النبيل ، شكراً لك أيها الأخ الكريم .
جلوستر : ولتشهدوا هذه القبلة التى أضعها على هذه الثمرة
دليلا على حبى للدوحة التى أنت فرعها .
(لنفسه مفرداً) إن شئتم الحق فهكذا قبل يهوذا [2] سيده وهو ينادى
« لك السعادة » ! ويضمر له فى قلبه شر الأذى .
الملك إدورد : هأنذا قد استويت الآن على عرشى ، ونلت كل ما تبتهج له نفسى

---

(١) فى بعض الطبعات سأعد أنا الطريق إن أنت قمت بالتنفيذ (المترجم) .
(٢) يهوذا الأسخريوطى الذى أسلم المسيح لليهود (المترجم) .

السلم فى بلادى ، والحب من أخوى .

كلارنس : وماذا تأمر يا مولاى أن نفعل بمرجريت ؟
لقد رهن والدها رينيه إلى ملك فرنسا
الصقليتين وبيت المقدس .
وأرسل ما نال من هذا الرهن إلى هنا ليفتديها به

الملك إدورد : أبعدوها عنا ، وانقلوها من هنا فى البحر إلى فرنسا .
وماذا بقى بعد الآن إلا أن نقضى الوقت
فى مهرجانات النصر الفخمة ، وحفلات التمثيل المرحة .
التى هى خليقة بأن تبتهج بها الحاشية .
دقوا الطبول ، وانفخوا فى الأبواق ، وودعوا المتاعب والأحزان
لأنى أرجو أن يبدأ من هذا اليوم سرورنا الدائم على مدى الأيام .

(يخرجون)

رقم الإيداع		١٩٩٣ / ٤٢٠٠
الترقيم الدولى	977 - 02 - 4076 - 1	ISBN

١ / ٩١ / ٤٢٣
طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

تمتاز مسرحيات شكسبير الخالدة بأنها نتاج عبقرية مسرحية وعبقرية شعرية معًا، فقد جمع شكسبير بين حس درامي فذ وشاعرية فائقة بالإضافة إلى معرفة بالنفس الإنسانية والسلوك الإنساني بدرجة من العمق والإتساع جعلت من كل مسرحياته صورًا فنية رائعة للحياة الإنسانية، حلوها ومرها.

ودار المعارف يسعدها أن تقدم للقارئ العربي أعمال شكسبير مترجمة بقلم نخبة من عمالقة الفكر والأدب في العالم العربي [illegible]كتمل بذلك روعة التأليف ودقة الترجمة [illegible]قراءة.